

المجلد الحادي والعشرون

شوال سنة ١٤٣٩

مجلة الأزهر



مركز تحقيقات كليات أصول الدين

تصديقاً لشهر ربيعاً عن مشيخة الجامع الأزهر الشريف

مَجَلَّةُ الْأَزْهَرِ

المجلد الحادى والعشرون

مدير الملة

ورئيس تحريرها



الإشتراك السنوى

فمن العدد ١٠٠

ادارة المجلد : بديوان الإدارة العامة للأزهر ، القاهرة

مطبعة الأزهر

١٩٥٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

درس ديني بقصر رأس الزين

سن حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق المعظم الاستماع إلى دروس دينية تأتي بعد صلاة العشاء، يشرف جلالاته حلقات بعضها بذاته الكريمة . وقد ألقى الدرس الأول هذه السنة حضرة صاحب الفضيلة الشيخ علام نصار مفتي الديار المصرية ، وألقى ثانيهما حضرة صاحب الفضيلة الشيخ عبد الرحمن حسن وكبل الأزهر بالسراي الملكية في مساء يوم الإثنين ١١ رمضان سنة ١٣٦٩ . وهو كما يرى القراء حافل بالتفصيلات عن فريضة الصوم وآدابه ورخصه وشروط صحته وفضائله ، فجاء درساً جامعاً يجب أن يلم به كل مسلم .

بسم الله الرحمن الرحيم

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كَتَبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كَتَبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ . . . أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ، فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ . وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ، فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ ، وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ، إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ .

شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، فمن شهد منكم الشهر فليصمه ، ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر ، يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ، ولتعلمم تشكروا . . .

الصيام في اللغة : الإمساك والكف عن الشيء ، ومن ذلك قوله تعالى :
 « إني نذرت للرحمن صوماً ، أى صمتاً وكفاً عن الكلام . وفي الشرع :
 الإمساك عن الأكل والشرب وغشيان الفم ، من الفجر إلى المغرب ، ابتغاء
 مرضاة الله .

وقد فرض الله الصوم على المؤمنين كما فرضه على الأمم السابقة ، فكان
 ركناً من أركان كل دين ، لأنه من أقوى العبادات ، وأفضل وسائل التهذيب ،
 وتهيئة النفوس لفعل الخير .

وفي إعلامه تعالى لنا أنه فرضه علينا كما فرضه على الأمم السابقة لإشعار بأن
 جميع الديانات التي أنزلها الله تعالى على رسله واحدة في أصولها ومقاصدها وإن
 اختلفت كيفيتها وأزمعتها وأمكنتها .

ثم بين تعالى بقوله « لعلكم تتقون » أنه إنما فرض الصيام علينا لمصلحتنا
 وسعادتنا ؛ فإنه يعد النفوس ويهيئها لقبول الطاعات والبعد عن المعاصي .

والصائم إذا ترك شهوانه التي تعرض له أثناء الصوم امتثالاً لأمر الله تعالى ،
 وراض نفسه على الصبر كلما أغرتها الطيبات والشهوات ، شعوراً منه بأن الله
 تعالى يراقبه وأنه مطلع على سر نفسه ، وتكرر ذلك منه أيام صيامه - فإنه تربي
 في نفسه ملكة خشية الله وتمظيمه ، ومراقبته ، وتزكو نفسه ، وتكون مستعدة
 لتقوى الله .

ومراقبة الصائم ربه في صيامه هي في الحقيقة رُوح الصيام الذي أراده الله
 من المؤمنين ، ليسعدوا بالتقوى ، وهو الصيام الذي يربي الإرادة ، ويكبح
 الشهوات ، وينشئ عاطفة الرحمة والإحسان .

أما مجرد الإمساك عن الطعام والشراب مع عدم مراقبه الله تعالى ، مما
 يسهل عليه ارتكاب الآثام ، فليس هو الصيام الذي فرضه الله على المؤمنين .
 وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من لم يدع قول الزور والعمل به
 فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه » .

فصوموا أيها المؤمنون كما أمر الله ، تظفروا بعظيم الجزاء عند الله : قال

رسول الله صلى عليه وسلم ، من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه .

بين الله الصيام الذي كتبه على المؤمنين بأنه في أيام معدودات . والمحققون من المفسرين كالحسن وابن جرير وأبي مسلم على أن الله جل ثناؤه عني بقوله : « أياماً معدودات ، أيام شهر رمضان .

وقال بعضهم : الأيام المعدودات صوم ثلاثة أيام من كل شهر ، وكان ذلك فرضاً على الناس قبل أن يفرض عليهم شهر رمضان ، ولكن هذا القول لا دليل عليه . وقال ابن جرير المفسر : إنه لم يأت خبر تقوم به حجة بأن صوماً فرض على أهل الإسلام غير صوم رمضان ثم نسخ بصوم شهر رمضان ؛ بل بين الله في سياق الآية أن الصيام الذي كتبه على المؤمنين هو شهر رمضان دون غيره من الاوقات .

ولما كانت فرض الصوم عامّاً ، استثنى منه الذين يشقّ عليهم الصوم ، أو الذين هم بمظنة أن يشقّ عليهم ، فقال تعالى : « فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ » .

فالمريض والمسافر بمظنة أن يشقّ عليهم الصيام ، ولهذا رخص لهما في الفطر . ولكن ليس كل مرض يبيح الفطر ، لأن من الأمراض ما يعالج بالصيام ، ومنها اليسير الذي لا يضر ، وإنما المرض المبيح للفطر هو الذي يؤلم المريض ويؤذيه ، أو يخاف تماديّه أو تزيده بالصوم . وهو قول جمهور من العلماء ، ومذهب حذاق أصحاب الإمام مالك .

وإذا صام المريض أو المسافر أجزاء الصوم عن فرضه . وإذا أفطر برخصة الله فعليه صوم عدة أيام آخر مكان الأيام التي أفطرها في مرضه أو سفره . وذلك معنى قوله تعالى : « فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ » .

والآية في إطلاق الرخصة في الفطر للمريض والمسافر شاملة للمريض الذي يصيبه المرض أثناء النهار فيفطر ، وللمسافر الذي يسافر أثناء النهار فيفطر .

وكذلك قوله : « فعدة من أيام أخر » عام في قضاء الأيام التي أفطرها المريض أو المسافر متتابعة أو متفرقة .

• • •

وقوله تعالى : « وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين » ، اختلاف في تفسيره أهل التأويل . قال ابن عباس رضى الله عنهما : إن الآية خاصة بالشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان الصوم ، أو لا يستطيعانه إلا بجهد ، فيفطران ويطعمان مكان كل يوم مسكيناً . وفسر قوله : « يطيقونه » بمعنى يطاقونه ، أى يتكفونه . والوجه في هذا التفسير أن الإطاقة أدنى درجات المسكنة والقدرة على الشيء ، فلا تمول العرب : أطلق الشيء ، إلا إذا كانت قدرته عليه في نهاية الضعف بحيث لا يقدر عليه إلا مع الشدة والمشقة ، وهذا بخلاف الوسع الذى يدل على اليسر والسهولة .

وجعل ابن عباس المريض الذى لازمه السقم ، والحمل والمرضع إذا خافتا على الجنين والطفل في حكم الشيخ والشيخة .

وعلى قياس قوله يرخص أيضاً بالإفطار والإطعام للعمال الذين جعل الله معاشهم الدائم بالأشغال في المناجم ، والمسجونين الذين يقضون حياة سجنهم في الأعمال الشاقة ، كقطع الاحجار وحمل الأثقال .

وقال كثير من المفسرين : إن الله تعالى فرض شهر رمضان ، وأنزل قوله « وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين » فكان من شاء صامه ، ومن شاء أفطار وأطعم عن كل يوم مسكيناً .

ثم أنزل قوله : « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن » — إلى آخر الآية : فنسخ به عموم قوله : « وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين » ، وثبتت الآية في الشيخ والشيخة اللذين لا يقدران على الصيام ، وصار معنى الآية : الصيام واجب على الصحيح المقيم ، والفطر والقضاء رخصة للمريض والمسافر ، والفطر وإطعام مسكين عن كل يوم رخصة للشيخ والشيخة اللذين لا يستطيعان الصوم .

وقال الأصم : إن الآية راجعة إلى المريض والمسافر في الآية السابقة ، وذلك لأن المريض والمسافر قد يكون منهما من لا يطيق الصوم ، ومنهما من يطيق . فالذي لا يطيق بين حكمه بقوله : « فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر » ، والذي يطيق بين حكمه بقوله : « وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين » .

وقول الأصم لا يتفق مع ما ورد في السنة من أن الفطر للمرضى والمسافرين رخصة من الله ، من شاء منهم صام ومن شاء أفطر وقضى من أيام أخر . وقول الأكثرين وإن كان يتفق في النهاية مع قول ابن عباس إلا في بعض التفريعات ، ولكن تفسير ابن عباس أفضل ، لأنه لا ضرورة للقول بالنسخ في قوله : « وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين » .

وقوله تعالى « فمن تطوع خيراً فهو خير له » عام في التطوع بالخير مع الفدية بأن يجمع بين الصوم والفدية ، أو يطعم عن اليوم الواحد أكثر من مسكين ، أو يزيد في طعام المسكين أكثر من الواجب ؛ كل ذلك من الخير الذي يشملها عموم الآية .

« وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون » خطاب عام لأهل الرخص من المرضى والمسافرين وغيرهم ، والمعنى إنكم إذا علمتم وتدبرتم ما في الصوم من الخير وأنه يورث تقوى الله ، علمتم أن الصيام خير لكم ؛ وهذا إذا لم يضركم الصوم ، لأن الضرر لا خير فيه .

وقوله تعالى « شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان » ، بيان من الله تعالى بأن الأيام المعدودات هي شهر رمضان ، وأنه إنما فرض صيامه على الناس لأنه شهر كله خير وبركة . فقد أنزل فيه القرآن في ليلة باركها الله وجعلها خيراً من ألف شهر ؛ والقرآن هو الهداية العامة والنور الساطع ، لخير البشر وسعادتهم في الدنيا والآخرة ، وأنه في هدايته آيات بينات من الهدى ، ومنهج واضح للفصل بين الحق والباطل .

وإذا كان القرآن نعمة عظمى نجلى الله بها على عباده في هذا الشهر ، فإنه

يكون أنسب أن يجعل هذا الشهر شهر تبتل ورجوع إلى الله بعبادة الصوم التي تزكى النفوس ، وتطهر القلوب مما ألم بها ، شكراً لله تعالى على هذه النعمة .

ولما بين الله ما اختص به هذا الشهر من المنزلة عنده ، قال : « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » ، ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام آخره ، أى يجب على من شهد منكم أى كان حاضراً وقت حلوله - أن يصومه إن كان صحيحاً مقياً ، وإن كان مريضاً أو مسافراً وقت حلوله ، أو طراً عليه ذلك أثناء الشهر ، حل له أن يفطر ، رخصة من الله ، ويقضى ما أفطر من أيام آخر .

وهذا التفسير أولى مما قاله بعض المفسرين : إن معنى الآية أن من حل عليه رمضان وهو صحيح مقيم وجب عليه صيام الشهر كله ولو سافر في أثناءه ، ومن حل عليه وهو مريض أو مسافر قضى عدة ما أفطر من أيام آخر ؛ لأن تفسير هذا البعض لا يتفق مع عمل النبي صلى الله عليه وسلم ، حيث كان يصوم بعض أيام الشهر ثم يسافر فيفطر .

وقوله : « ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام آخر » ، تأكيد للرخصة للمريض والمسافر ، لئلا يظن السامع بعد أن بين الله المزايا العظيمة التي في شهر رمضان ، وبعد أن أمر بصيامه بقوله : « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » - لئلا يظن أن صيام الشهر كله أمر حتم .

وهنا يمرض للناظر في قوله : « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » ، أن الآية لا تشمل سكان بلاد الشمال الذين يطول ليلهم ونهارهم ، وقد يصل في بعض الجهات القريبة من القطبين إلى شهور . ومع أن القرآن راعى في تشريع الحكم الأعم الأغلب من بلاد الله ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يترك ذلك ، بل وضع له أساساً يتبع في الحكم للمسلمين الذين يصلون إلى هذه الجهات . ففي صحيح مسلم عند ذكر أحداث الدجال ، وأن من أيامه يوماً كسنة ويوماً كشهر ويوماً كجمعة - سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل يكفي في يومه

الذي كسنة صلاة يوم واحد ؟ قال : لا ، اقدروا له قدره ، أى اجعلوا لكل وقت من أوقات الصلاة قدرا من هذا اليوم تؤدونها فيه .

وهذا أصل في التشريع لكل أنواع العبادات الموقونة ، ومنها الصيام .
والأظهر أن يكون التقدير حسب الاوقات في أقرب البلاد المعتدلة .

• • •

أشارت الآيات السابقة إلى ما كان من فضل الله علينا ، وسعة رحمته بنا في فرض الصيام حيث جعله سبيلا إلى التقوى ، وأزاح عنا المشقة وسهل لنا صيابه فجعله في أيام معدودات ، لا أبداً ولا في أكثر الاوقات ، ورخص في تأخيرهِ للمرضى والمسافرين ، كما رخص لمن يجهدهم الصيام ويشق عليهم في الإفطار والغدية ، وجعله في أخطر الشهور شأنا وهو شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هداية للبشر — فناسب أن يُخْتَصَم ذلك كله بالتنبيه على الحكمة في هذه الالطاف المقرونة بهذا التكليف ، فقال تعالى : يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ، ولتُسْكَلُوا العدة ، ولتُكَبِّرُوا الله على ما هداكم ، ولعلكم تشكرون .

وبيان ذلك أن الله بنى تشريعه على اليسر والرفق ، وما جعل علينا في الدين من حرج ، ولذلك جعل الصيام ميسراً لا عسراً فيه حيث فرضه في أيام معدودات . ورخص لأصحاب الأعذار من المرضى والمسافرين في تأخيرهِ . كما رخص لمن يشق عليهم الصوم في الإفطار والغدية ، ورخص لنا في إكمال هذه الشهر بقضاء ما فاتنا ، ليكمل لنا الأجر وحسن مثوبة الصوم . وهي من تدعونا إلى تكبير الله وتعظيم شأنه على ما هدانا إليه من الخير ، وإلى شكره على هذا الفضل العظيم .

عناصر المدنية في الديانة الإسلامية

بينما في الجزء الماضي أن عقائد الإسلام الرئيسية تمنع تولد الشقاق بين الجماعات ، فلا تشتغل الجماعات بنفسها عن توحيد قواها للوصول إلى غاياتها في ثقة وطمأنينة لا بد منها لبناء الأصول الراسخة ، وإقامة المباني الشامخة ؛ واليوم نسرده رؤس الأصول الاجتماعية في الإسلام ، ونبين أنها مستودع آياته الباهرة ، ومعجزاته الخالدة ، فنقول :

لكل مجتمع أصول تقوم عليها أركانه ، كما لكل بني وطائفة يقوم عليها بنيانه ، وبقدر ما تكون تلك الأصول قوية ومستقرة على قرار مكين ، يحى البناء متيناً راسياً لا يتداعى للسقوط ، ولا يحتاج للترميم . وقد جرت السنة الاجتماعية على أن هذه الأصول تكون بدائية في المجتمعات الحديثة الوجود ، ثم تأخذ في التهدب والارتقاء رويداً رويداً تحت تأثير دوافع قاهرة ، وعوامل مؤثرة ، تظهر أولاً على صورة مصادمات جدلية ، ثم تتطور إلى ثورات ديموية : وعقب كل انقلاب من هذه الانقلابات ترتقى الروابط الاجتماعية درجة في تطورها إلى الديمقراطية المثالية ، التي تقطع معها الفوارق الطائفية في الأمة الواحدة . من هنا لا تفتأ الجماعات تهب فيها الثورات من حين إلى آخر ، مدفوعة إليها بعوامل ناموس الارتقاء ، لا بعوامل شر كما يتوهم ذلك من لا بصيرة لهم بعلم الاجتماع .

قلنا : إن الجماعة الإسلامية مضى عليها بعد أن تألفت على حالة ضعيفة ساذجة ، ووصلت إلى درجة ممتازة من النظام الاجتماعي ، والرقى العلى والعمل ، مما استحققت به خلافة الله في الأرض - قرون كثيرة - لم تشب فيها ثورة واحدة أثارها ما يثير غيرها من طاب المساراة في الحقوق والواجبات الاجتماعية ، وهى الأسباب التي ولدت في جميع المصور شر الثورات . وأشدها كليباً ، حتى كانت سبباً في حل جماعات ، وضياح استقلال أخرى ، وجرت وراءها نمكبات لا حصر لها لتلك المجتمعات وما جاورها ، ولا يزال الناس يعيدون ذكرى الثورات الرومانية والانجليزية والفرنسية والروسية وغيرها مما لا يمكن حصره .

ولما يردد الناس ذكرى هذه الثورات لأنها إنما شئت لنوليد الحقوق الإنسانية الطبيعية ، وتسجيل نشوئها في العالم كأصول أولية لكل نهضة اجتماعية ذات أغراض مدنية أو أدبية .

إذا صح هذا وهو صحيح ، بل هو طبيعي محسوس ، فلماذا لم تحدث مثل هذه الثورات في الأمة الإسلامية ، فيستدعى نهوضها الاجتماعي والمدني قروناً كثيرة كما حدث لغيرها ؛ بل تألفت ولم يمس على تألفها قرنان حتى أصبحت أعظم أمبرطورية في الأرض ، وأسست مدنية فاقت جميع ما تقدمها ، وحفظت للعالم تراثه العلمي وزادت عليه من جهودها مكتشفات جديدة ، ومعلومات ثمينة ، أتمت كل هذا في قرنين لم يتخللها أقل اعتراف على الحقوق الاجتماعية ، الأمر الذي احتكر جميع الثورات البشرية ، واستوعب تاريخها كله ؟

السبب في هذا هو ما قدمناه من أن الإسلام جاء مشتملاً على جميع حقوق الأفراد بعضهم حيال بعض ، وعلى كل ضروب المساواة التي تتطلبها الحياة المدنية ، ولا تظهر الحاجة إليها في الشعوب إلا رويداً رويداً ، ففي كل مرحلة من المراحل الاجتماعية يزداد وعي الجماعة بنفسها ، فتطالب الطوائف المحرومة من حقوقها بتلك الحقوق ، وبصر المستعبدين بها على حرمانهم منها ، فيحاول الضعفاء أخذها غلاباً ، فتقع بين الفريقين ثورة قد يتغلب فيها المغتصبون ، فتبدأ الثورات أمداً محدوداً ، ثم تهب من جديد ؛ ولا تزال تتبع هذا الأسلوب إزاء حصولها على حقوقها الاجتماعية ، حتى تحصل عليها كاملة أو تخيب في منازعة خصومها فتلحق بالمتخلفين .

أرسل الله خاتم رساله بالاسلام ، والامم ، غياية من الجهل بحقوقها ، يسوقها رعاتها إلى التناحر ، فتتماد لهم انقياد الخراف لرعاتها ، فيدفعون بها إلى أى الأغراض شاموا ؛ فأعلن صلى الله عليه وسلم الأفراد بحقوقهم وواجباتهم وطالبهم بالاعتدادهما والحرص عليها ، وأنهم يحبون حياة طيبة ، ويخدمون أنفسهم والإنسانية أجمع ما داموا عاملين بها ، ومرتسمين خطواتها ، فإن انحرفوا عنها انحرفت بهم الأحوال ، فإن لم يبتدقظوا أدركتهم أدواء الأمم وهلكوا ولا كرامة .

أول تلك الاصول : المساواة بين الناس كافة في جميع الحقوق الإنسانية لا فضل لعربي على أعجمي ، ولا تركي على زنجي ولا لغني على فقير ، ولا لوجيه

على صعلوك ، فالجميع متساوون في الحقوق والواجبات ، قال الله تعالى : « يا أيها الناس أنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير » . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا فضل لأربى على أعجمي ، ولا لبيض على أسود إلا بالتقوى أو بعمل صالح ، كلكم لآدم وآدم من تراب » .

بهذا الأصل الأصيل سقطت في العالم الاسلامي فتنة اعتبار الفقراء والعامّة محرومين ، أو كإشباه المحرومين من الحقوق الوطنية ، والميزات الاجتماعية ، فكل مسلم وإن كان معدما وذا ماض بعيد في الفاقة وخمول الذكوة من الحقوق الوطنية ما لا تثرى الأثرياء ، الممثل لأرفع البيوتات ، وأقبل التلقيات .

فكما نتج الإسلام أمامه باب الارتزاق ، ولم يضع له حدا في طلب الحلال ، مهد له سبيل الخدم الاجتماعية ، فلم يوصد في وجهه بابا يمكن أن يبلغ منه للوصول إلى أرفع الدرجات في المجتمع ، ولم يضع أمامه من العراقيل ما يصرفه عنه إلى غيره . وقد بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بتنفيذ هذا النظام فولى بلالا - وكان مملوكا حبشيا لواحد من الناس - على المدينة ، ليدبر أمورها في غيبته ، وكان فيها أبو بكر وعمر وعدد كبير من عظماء الصحابة ، وكبار أصحاب البيوتات .

فهذه ديمقراطية لم برها العالم المتعدين إلى اليوم ، ولم ينس الناس ما لقي وياقي السود والهنود وغيرهم من سوء معاملة بعض الأمم المتعدنة إلى عهدنا هذا .

وكما رفع الإسلام عن الضعفاء هذا الاصر ، أشركهم في جميع مجالات الحياة مع الكبراء ، وجلة الأثرياء . وسأوى بين الجميع في المعاملات ، بينما كانت الأمم في حين إبحاء الإسلام إلى أواخر القرن الثامن عشر أي إلى عهد الثورة الفرنسية في سنة (١٧٩٨) ، لا تزال تضع فروقا عظيمة بين الأثرياء والفقراء . جاء في موسوعة لاروس قوله : « في سنة (١٧٩٨) كان يوجد عدم مساواة شائك في توزيع المناصب العمومية ، وعدم الرقابة عليها ، فبذل وزراء لويز السادس عشر جهدهم لإجراء الإصلاحات التي تتطلبها الأمة ؛ فلم ينجحوا ضد المقاومة العنيفة لرجال الدين والنبلاء ، فرأت الأمة أنه لا يجدى في هذا الأمر غير ثورة تضع مكان جماعة قائمة على اعتبار الامتيازات ، جماعة أخرى يسودها قانون المساواة بين

الجميع ، اهـ . وليس بخاف على القراء ما أحدثته الثورة الفرنسية من الانقلابات ، وما قررت من الإصلاحات ، وكانت سببا في إيقاظ شعوب أوروبا جميعا من سباتهم ، فلم يلبثوا حتى ثاروا جميعا ضد حكامهم طالبين التأسى بحكومة الفرنسيين ، فمكأن لهم ما أرادوا ، فانظر كيف تأخر الاوربيون عن المسلمين نحو اثني عشر قرنا في التمتع بالحرية ، وبالأصول المستندة الى الديمقراطية الصحيحة التي أساسها المساواة المطلقة بين جميع أفراد الشعب . والله إنه لأمر جليل !

هذا تأويل عدم ثورة المسلمين على قادتهم طوال عهد ارتقائهم ، فقد كان ذلك لعدم وجود ما يقتضيه من منع حقوق الضعفاء ، وحصر الشؤون العظيمة للطبقات القوية من الأثرياء ، وأصحاب العصبية . وعدم وجود مثل هذه الثورات في الاجتماع الإسلامي في مدى قرون متوالية ، هو الذي مكّنهم من تحقيق مدنية راقية في مدى قرنين اثنين . أليس من المعجزات الباهرة أن تنأف أمة لا عهد لها بوحدة ، ولا بحكومة ، ولا بقانون ، ولا بمثل أعلى ، فتصل في قرنين إلى أبعد ما وصل إليه غيرها في عشرة قرون ؟

نعم إن هذا الأمر من المعجزات الباهرة ، وأى إعجاز أعظم من إيجاد أمة من العدم ، وتزويدها بأصول اجتماعية تضمن قيامها على أكمل نظام ، وبإحدى خلقه تجعل منها أمة مثالية على أرقى حال ؟ ومن العجيب أن هذه الأمة مرت بجميع الأدوار المكونة للاجتماع ، كما يمر الطفل بجميع أدوار الطفولة حتى يصل إلى سن الرجولة . وعند وصولها إلى دور الرجولة تنقلب في أدوارها دون أن يصاب وجودها بأذى ، إلا بما لا مناص منه من لوازم الحروب والمصارلات ، ولكنها لم يتزعزع لها أساس ، ولم يه لها ركن ، فتحملت جميع عواقب تصرفاتها الحبوية دون أن تصاب في صميمها بأي عرض .

وقد انتهى بها الأمر في أدوار الاجتماع الى أن بلغت هذه المرحلة الأخيرة التي تغلب فيها الأجانب على كثير من أقطارها ، ولكنها مع كل هذا شديدة التعلق بدينها ، والحنين إليه ، عازية جميع ما أصابها الى حيدنها عن صراطه ، ومداربتها لمبادئ وأصوله . غير يائسة من العود إليها لاسترداد مجدها الأثيل ، وعزها التليد .

اصلاح الاخلاق و رعاية الآداب

[نصح الكتاب الذى توجه به جماعة كبار العلماء إلى
حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا بمناسبة
الحالة الدينية والحاقية فى البلاد ، فتقبله رفعتة قبولاً طيباً]

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا رئيس مجلس الوزراء
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . أما بعد :

فإن الله جل شأنه أخذ ميثاق الذين أوتوا الكتاب ليبيئنه للناس ولا يكتُمونه ،
وأمر المؤمنين بأن تكون منهم أمة يدعون إلى الخير ، ويأمرون بالمعروف
وينهون عن المنكر ، وحذر عباده فى كتابه العزيز ، وعلى لسان رسوله الكريم
عواقب الفساد والفتن ، التى لا تصيب الذين ظلموا خاصة ، وضرب لنا الامثال
بمن كان قبلنا من أمم ، استشرى فيها الفساد وفشا فيها المنكر ، فسكت خاصتها على
عاتمها حتى أخذوا جميعاً بعذاب الله ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، كانوا
لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ، ، فلولاً كان من القرون
من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد فى الأرض إلا قليلاً ممن أنجينا منهم ، واتبع
الذين ظلموا ما اتفقوا فيه ، وكانوا مجرمين ، وما كان ربك ليهلك القرى بظلم
وأهلها مصلحون ، .

وكأ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب على البلاغ والبيان ، أخذ ميثاق
أهل الحكم والسلطان أن يؤدوا الأمانات إلى أهلها ، وأن يحكموا بين الناس
بالعدل . ويقوموا حدود ما أنزل الله على رسوله ، ويكونوا فى شعوبهم قوام كل
مائل ، وقصد كل جائر ، وصلاح كل فاسد ، يرتادون لهم الطيبات ، ويدودونهم
عن مواقع الهلكة ويحمونهم كل شر ، ويقودونهم إلى كل خير .

وإن الناظر فى حال أمتنا العزيزة وما آل إليه أمر الدين والخلق فيها ، ليهوله
ما يرى ، ويأخذه كثير من الحزن على حاضرها الذى صارت إليه ، ويخالجه كثير
من الإشفاق على مستقبلها الذى هى مقبلة عليه ، فقد استهان الناس بأوامر الدين

ونواهيه ، وجنحوا إلى ما يخالف تقاليد الإسلام ، ودخل على كثير منهم ما لم يكن يهد من أخلاق الإباحية والتحلل : جريا وراء المدنية الزائفة ، واغترارا ببريقها الخادع ، وكثرت عوامل الإفساد والإغراء في البلاد ، ولا سيما أمام ناشئتها وفتياتها المرجوين للموخر بها ، والأخذ بيدها في حاضرها ومستقبلها : فن حفلات ماجنة خليعة يختلط فيها النساء بالرجال على صورة منهكة جريئة تشرب فيها الخمر ، ويرتكب فيها ما ينافي المرومة والحق الكريم ، إلى أندية يباح فيها القمار ويسكب على موائد الذهب الضار ، وتبهر فيها الأموال ، وتزلزل بسببها البيوت والكرامات إلى ملاعب للسباق والمراهنات ، تطوى على ألوان من الفساد وإضاعة المال ، إلى مسابقات للجمال ، إنما هي مراض للفسق والإثم ، يرتكب فيها ما يندى له جبين الدين والحق والمرومة ، ويباح فيها من المحرمات أكبرها وأخطرها ، إلى شواطئ في الصيف يخلج فيها العذار ، ويطنى فيها الأشرار ، إلى أخبار ذلك تذكر وتشر ، ونوصف وتصور ، وتستثار بها كوامن الشهوات والغرائز في غير نورع ولا حياء إلى كثير من ألوان المنكرات وفنون الموبقات . كل هذا يحدث في البلاد ، ويعمل عمله المتواصل في أخلاقنا وتقاليدينا ، حتى اشتد الخطب ، وجل الأمر ، وأصبح في حاجة إلى علاج سريع .

يا صاحب المقام الرفيع :

لقد أورتنا المدنية الآبرية وما وفد علينا من واندات الرذيلة والاباحية ، وما غزينا به في أخلاقنا وتقاليدينا الكريمة - أورثنا كل ذلك - عرفا فاسدا ، وذوقا مريضا ، ومجتمعنا صار ينظر الى هذه المفاسد نظرتة إلى شيء مألوف ، فلا يكاد يذكرها فضلا عن أن ينيرها : بل أصبح يراها - إلا قليلا من عصم الله - آية من آيات التقدم ، وعلامة على الهوض والرقى ، ورضيت بها القوماني بل حتمها ونظمها ، وجبت من كسبها الحرام العزائب والرسوم : كما نجبها من الاعمال المشروعة والمكاسب الشريفة .

الا وإن أكبر الفساد بعد الوقوع في الفساد ، أن يرى الفنى فيه إرشادا ، والضلال هدى ، فإنه حينئذ دليل على تأصل جرائمه ، وتمكنها من القلوب ، وصيرورة الامة الى الزمان الذى يرى فيه المعروف منكرا ، والمنكر معروفا . والقيبح حسنا والحسن قبيحا .

وإن لنا في بعض الأمم الحاضرة لعبرة إذ أفسدها الترف، وفيت في عضدها الإخلال : سقطت يوم الجهاد أمام أعدائها، ولم تعلق صبرا على ما أصابها من بأسهم وقوة شكيمتهم، وقد مادي بذلك قادتها وولاة أمرها، ولكن بعد فوات الأوان ! وتلاوموا عليه ولكن بعد إن فاتتهم الفرصة، فأصبحوا على ما فعلوا نادمين !

وقد جعلكم الله - يا صاحب المقام الرفيع - على رأس حكومة الشعب الحريصة على تقويم أمره، وبث دعائم الإصلاح فيه، وفي تاريخكم الحافل مواقف مشهودة، تدل على ما فطركم الله عليه من حب الدين والفضيلة، والجلال على عرش مصر ملك عظيم، يحمل بين جنبيه نفسا كريمة، ويؤمن بالله وكلماته، ويعمل على إنشاء أمته نشأة صالحة قوية، عمادها الخلق وقوامها الصلاح والاستقامة، ويرجو لها من صميم قلبه منزلة من العزة والسمو تعود بها إلى سالف مجدها، وقد منح الله مصر بين شقيقتيها الإسلامية والعربية - بفضل توجيهه السامي - مركز القدوة والقيادة، فهي تنظر إليها وترقب أعمالها وتستن بسننها، وتهتدى بهدى علمائها وزعمائها، وفيها الأزهر الشريف، حصن الدين، ومثابة العلم، ومشرق شمس الفضيلة والأخلاق الكريمة.

كل ذلك - يا صاحب المقام الرفيع - يحملنا أقوى ما نكون في الإصلاح رجاء، وأقرب ما نكون إلى النجاح سيلا، ويحملنا على أن نناشدكم أمانة الله أن تقوموا لله قومة تقر بها عين الدين، ويذل بها شيطان الفساد والمنكر، ويحفظها التاريخ لكم صفحة بيضاء، تنشر يوم القيامة في صحائفكم، وتوزن في ميزان أعمالكم. احفظوا ماضيهم التهاون والتفريط، وأشعروا أهل الفساد بوازع السلطان؛ إذ لم يرتدعوا بوازع القرآن، وأعلنوها حربا حامية الوطيس على كل منكر وفسوق، وانتشلوا شباب الأمة من مهاوى العبث، ومواطن الميوعة وأوكار الفجور، وخذوا على يد كل من تحدثه نفسه بالاعتماد على الفضيلة أو الترويج للرديلة، أو غرس بذور المجون والخلاعة في الأمة، إنكم إن فعلتم ذلك رضى الله عنكم ورسوله، ورضى عنكم عقلاء الأمة وكرام العشيرة، وإن ذلك هو الفوز العظيم. وفقكم الله إلى نصر الفضيلة، ودحر الرديلة، وأعز بالفاروق دينه وأمته، وأطال في طاعة الله حياته، وبارك فيها للإسلام والمسلمين. آمين.

السنة التشريعية :

المتساؤل ولا الخائف

لمضية الاستاذ الجليل الشيخ فكري ياسين

جاء في الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « دعوني ما تركتكم ، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم ، واختلافهم على أنبيائهم ، فإذا أمرتكم بشيء ، فاتوا منه ما استطعتم ، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه ، . »



لهذا الحديث سبب ، وهو أنه لما نزل قوله تعالى : « والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ، - قام النبي صلى الله عليه وسلم ، فخطب الناس ، فقال : « أيها الناس : قد رضى الله عليكم الحج فحجوا ، ، فقام إليه الأقرع ابن حابس ، فقال : أكل عام يا رسول الله ؟ فسكت حتى كررها مراراً ، ثم قال : « لو قلت نعم ، لوجبت ، ولما استطعتم ، ، وذكر بقية الحديث ، ثم نزل قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم ، الآية . »

وجاء من غير وجه أن آية : « لا تسألوا ، إنما نزلت لما أكثروا السؤال له صلى الله عليه وسلم عن أشياء كرهها ، وأن منها ما كان يسوء السائل جوابه ، مثل : هل أبوه في الجنة أو في النار ؟ وهل أبوه من نسب إليه أو غيره ؟ ومنها ما كان على وجه التعتن والعبث والاستهزاء ، كما كان يفعل المنافقون والمشركون وأهل الكتاب وغيرهم ، كقول بعضهم : أين ضلقت ناقتي ، وكسؤالهم الآيات والافتراحات ، وسؤالهم عما أخفاه الله عن عباده ، ولم يطلعهم عليه ، كالسؤال عن وقت الساعة ، وعن أمر الروح ، وسؤالهم عن كثير من

الحلال والحرام مما يخشى ان يكون السؤال سبباً لنزول التشديد فيه ، كالسؤال عن الحج ، وهل يجب كل عام ؟

ومن ثم غضب النبي صلى الله عليه وسلم غضباً شديداً ، وصعد المنبر وهو غضبان ، وقال للناس : سلوني ، فجعلوا يسألونه ودو يحجب ، فلما رأى عمر بن الخطاب ما بوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغضب ، جثا على ركبتيه وقال : رضينا بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد رسولاً ، لا تفضحننا بسرائرنا واعرنا ، عفا الله عنك ، فسرى عنه صلى الله عليه وسلم ، ثم التفت إلى الحائظ فقال : لم أر كاليوم في الخير والشر ، أريت الجنة والنار وراء هذا الحائط .

• • •

أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يبين للناس فائدة ترك السؤال عن أشياء لم تنفع ، وضرر كثرة السؤال ، لما فيه غالباً من العنت ، وخشية أن ينزل بسببها وجوب المسترل عنه أو تحريمه ، أو أن تقع الإجابة بأمر يستنقل قد يؤدي إلى ترك الامتثال ، فتقع المخالفة ، وأنهم هم أنه يجعل بهم أن يتركوه بغير سؤال مدة تركه لهم بغير أمر بشيء ، ولا نهى عن شيء ، وألا يكثرُوا من الاستفصال عن مواضع لا تفيدهم ، ولا من التنقيب عما يفضى بهم إلى الوقوع فيما رقع فيه غيرهم ، ثم ذكر لهم سببين جوهريين من أسباب هلاك الأمم السابقة عسى أن يحذروهما ، ويتقوا آثارهما الضارة .

فأما السبب الأول ، فهو كثرة السؤال عما يمتنع من غير ضرورة ، وقد اختلف في المراد بالذين كانوا قبلهم ، ف قيل : هم قوم عيسى ، سأله إنزال المائدة ، ثم كفروا بها ، وقيل : هم قوم صالح ، سأله الناقة ، ثم عتمروها وكفروا بها ، وقيل : هم قوم موسى ، سأله أن يرهم الله جهرة ، وأن يبين لهم البقرة التي أمروا بذبحها ، فعمتوا ، ولم يبادروا إلى مقتضى اللفظ من ذبح أى بقرة كانت ، بل شددوا على أنفسهم بكثرة السؤال عن حال البقرة وصفها ، فشدد الله عليهم بزيادة الأوصاف حتى لم يجدوا متصفاً بها إلا بقرة

واحدة فاشتروها بشمن باهظ ، وقيل : هم بنو إسرائيل مهلفاً ، كانوا يسألون أنبياءهم عن أشياء ، فإذا أخبروهم كذبوهم ، وقيل : هم قریش ، كانوا يسألون النبي صلى الله عليه وسلم أن يحول لهم الصفا ذهباً ، وأن يبين لهم أنسابهم ، فإذا أخبرهم لم يصدقوه وقالوا : ليس الأمر كذلك .

وأكثر العلماء على أن كثرة السؤال المنهى عنها في الآية ، هي السؤال عن النوازل والأغلوطات (١) والتوليدات ، فقد نهى الشارع عنها ، وورد أنه سيكون من الأمة أناس يغالطون ففهامهم ، بعضل المسائل ، وأنهم شرار الأمة . وقال الأوزاعي : إن الله تعالى إذا أراد أن يحرم عبده بركة العلم ألقي على لسانه المغاليط ، فلقد رأيتهم أقل الناس علماً .

وقيل : المراد كثرة السؤال عن الأشياء كالبهيرة والوصيلة ، والسائبة والحام ، وعن الآيات ، كسؤال قریش أن يجعل الصفا لهم ذهباً ، وسؤال اليهود أن ينزل عليهم كتاباً من السماء ، ونحو ذلك .

وأما ما ثبت في الأحاديث المتعددة وقوع السؤال عنه من الصحابة ، فيحتمل أن يكون قبل نزول آية ، لا تسألوا ، ، ويحتمل أن النهي في الآية لا يتناول ما يحتاج إليه مما تقرر حكمه أو ما لهم بمعرفة حاجته راحة ، كالسؤال عن الذبح بالنصب ، والسؤال عن وجوب طاعة الأمراء إذا أمروا بغير الطاعة ، والسؤال عن أحوال يوم القيامة ، وما فيها من الملاحم والفتن ، والأسئلة التي في القرآن ، كسؤالهم عن الكلاله والخز والميسر ، والقتال في الشهر الحرام واليتامى والمحيض والنساء والصيد ، وغير ذلك .

وقال البغوي في شرح السنة : المسائل على وجهين . أحدهما ما كان على وجه التعليم لما يحتاج إليه من أمر الدين ، فهو جائز ، بل مأمور به ، لقوله تعالى . فاسألوا أهل الذكر ، الآية ، وعلى ذلك تنزل أسئلة الصحابة عن الانفال

والسكالة وغيرهما، وثانيهما ما كان على وجه النعنت والتكف ، وهو المراد في هذا الحديث .

وقد حرر بعض الأئمة هذا الموضوع ، فقال ما خلاصته : والتحقيق أن البحث هما لا يوجد فيه نص على قسمين : أحدهما أن يبحث عن دخوله في دلالة النص على اختلاف وجوهها ، فهذا مطلوب ولا مكروه ، بل ربما كان فرضا على من تعين عليه من المجتهدين .

والثاني أن يدقق النظر في وجوه الفروق ، فيفرق بين متماثلين بفرق ليس له أثر في الشرع مع وجود وصف الجمع ، أو بالعكس ، بأن يجمع بين متفرقين بوصف طردى مثلا ، فهذا الذي ذمه السلف ، وعليه ينطبق حديث ابن مسعود : « هلك المنتطعون » ، فأروا أن فيه تضییع الزمان بما لا طائل تحته ، ومثله الإكثار من التفريع على مسألة لا أصل لها في الكتاب ، ولا في السنة ، ولا في الإجماع ، وهي نادرة الوقوع جداً ، فيصرف فيها زمانا كان صرفه في غيرها أولى ، ولا سيما إن لزم من ذلك إغفال التوسع فيما يكثُر وقوعه ، وأشد من ذلك البحث عن أمور مغيبة ، ورد الشرع بالإيمان بها مع ترك كيفيةها ، ومنها ما لا يكون له شاهد في عالم الحس ، كالسؤال عن وقت الساعة ، وعن الروح ، وعن مدة هذه الأمة ، إلى أمثال ذلك مما لا يُعرف إلا بالنقل الصرف ، والكثير منه لم يثبت فيه شيء ، فيجب الإيمان به من غير بحث ، وأشد من ذلك ، ما توقع كثرة البحث عنه في الشك والخيرة ، كحديث أبي هريرة : « لا يزال الناس يتساءلون ، حتى يقال : هذا الله خلق الخلق ، فمن خاق الله ؟ » .

وقد انقسم العلماء لإزاء كثرة السؤال إلى أقسام ثلاثة : فمنهم من سد باب التساؤل ، وأحكم إحصاده ، حتى قل فهمه وعلمه لحدود ما أنزل الله على رسوله ، وصار حامل فقه غير فقيه .

ومنهم من فتح الباب على مصراحيه ، وتوسع في توليد المسائل ، وتفريع الفروع ، وأسرف في ذلك ، واشتغل بتكلف الجواب عنها ، وكثرة النقاش فيها ،

والجدال عليها ، حتى نشأ عن ذلك افتراق القلوب ، واستقرار الأهواء والشحناء والعداوة والبغضاء فيها .

ومنهم من جعل همّه موجهاً إلى البحث عن معاني كتاب الله ، وما يفسره من السنن الصحيحة ، وكلام الصحابة والتابعين لهم بإحسان ، وعن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومعرفة صحيحها وسقيمها ، والتفقه فيها وفهمها ، والوقوف على معانيها ، ثم معرفة كلام الصحابة والتابعين لهم بإحسان في أنواع العلوم من التفسير والحديث ، ومسائل الحلال والحرام ، وأصول السنة والزهد والرقائق وغير ذلك ، وهذا هو طريق السلف من فقهاء الأمصار من التابعين فمن بعدهم ، حتى حدثت الطائفة الثانية ، فعارضتها الطائفة الأولى ، فكثرت بينهم المراء والجدال ، وتولدت البغضاء ، وتسموا خصوماً ، وهم أهل دين واحد ، والتوسط والاعتدال هو الخير في كل شيء .

وأما السبب الثاني من أسباب هلاك الأمم الماضية ، فهو اختلافهم على أنبيائهم ، ومعارضتهم لهم ، وتكذيبهم لأشرائعهم ، وخروجهم على وصاياهم ، وانحرافهم عن مبادئهم ، وإهمالهم العمل بتعاليمهم ، والمراد به — على الجملة — كل اختلاف مذموم يؤدي إلى كفر أو بدعة ، ويكون سبباً في تفرق القلوب ، وتباين الأهواء ، وتعدد الجماعات ، ووجود الانقسامات ، وتوهين عرى الدين ، وإضعاف شوكة الإسلام ، كما وقع بين الخوارج قديماً ، فإنهم كانوا يطعن بعضهم في بعض ، ويتبرأ بعضهم من بعض .

وأما الاختلاف في استنباط فروع الدين ، ومناظرة أهل العلم على سبيل تحقيق الفائدة ، وإظهار الحق ، وإعلاء كلمة الله ، فغير منهي عنه ، بل مأمور به ، وفضيلته ظاهرة ، وقد جرى العمل عليه من عهد الصحابة إلى الآن .

بعد أن أجمل النبي صلى الله عليه وسلم هذين السببين المؤثرين في كيان الأمم ووجودها ، أراد أن ينبه الناس على أن الأولى بهم ، والأجدى عليهم أن يتركوا التساؤل عما لا يعينهم ولا يفيدهم ، وأن يشتغلوا بالأم الذي يحتاجون إليه عاجلاً ،

وأن ينصرفوا عن كل ما يعوقهم عن ذلك ، وهذا لا يكون إلا بالاعتصار على فعل ما يطبقونه بما يأمرهم به ، واجتناب كل ما ينهاهم عنه ، وقد أوضح لهم ذلك في هاتين شاملتين ، وهاتين جامعتين : الجملة الأولى قوله صلى الله عليه وسلم : « فإذا أمرتكم بشيء ، فأتوا منه ما استطعتم ، فإنها - كما قال النووي - من قواعد الإسلام المهمة ومن جوامع الحكم التي أعطاها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويدخل فيها ما لا يحصى من الأحكام ، كالصلاة بأنواعها ، فإذا عجز عن بعض أركانها ، أو بعض شروطها أتى بالباقي ، وإذا عجز عن بعض أعضاء الوضوء أو الغسل ، غسل الممكن ، وإذا وجد بعض ما يكفيه من الماء لطهارته ، أو لغسل النجاسة ، فعل الممكن ، وإذا وجبت إزالة منكرات ، أو فطرة جماعة من تلزمه نفقتهم ، أو نحو ذلك ، وأمكنه البعض ، فعل الممكن ، وإذا وجد ما يستر بعض عورته ، أو حفظ بعض الفاتحة ، أتى بالممكن ، وأشياء ذلك كثيرة غير منحصرة ، وهي مشهورة في كتب الفقه .

والجملة الثانية قوله صلى الله عليه وسلم : « وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه » ، وهي على إطلاقها في إفادة اجتناب كل منهي عنه ، فإن وجد عذر يبيحه كأكل الميتة عند الضرورة ، وشرب الخمر والتلفظ بكلمة الكفر عند الإكراه ، أو نحو ذلك ، فهذا ليس منهيًا عنه في هذه الحال ، كما تدل أيضا على أن انتهاء الشرع بالمنهيات فوق اعتنائه بالمأمورات ، لأنه أطلق الاجتناب في المنهيات ولو مع المشقة في الترك ، وقيد في المأمورات بقدر الطاقة .

وصفة ما يقال في هاتين الجملتين : إن من امتثل ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم ، وانتهى عما نهى عنه ، وكان مشغلا بذلك عن غيره ، حصلت له النجاة في الدنيا والآخرة ، ومن خالف ذلك ، واشتغل بخواطره وما يستحسنه وقع فيما حذر منه الرسول من حال أهل الكتاب الذين هلكوا بكثرة مسائلهم ، واختلافهم على أنبيائهم ، وهدم انقيادهم ، وطاعتهم لرسولهم .

بمناسبة الحكم في قضية كتاب «الفرقان» :

علموهم بكونوا الحكم

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمد محمد المدني

المفتش بالأزهر

في الشهر الماضي أصدرت محكمة القضاء الإداري ، بمجلس الدولة حكماً في قضية كتاب «الفرقان» الذي ألفه محمد عبد اللطيف افندي ، وكانت الحكومة قد صادرت بناء على طلب مشيخة الجامع الأزهر ؛ لما تضمنه من مطاعن في القرآن الكريم رسماً وتلاوة ، وفي السنة المطهرة متناً وسنداً ، فطلب مؤلفه من المحكمة أن تلغى هذه المصادرة ، وأن تحكم له بتعويض كبير قدره بما أصابه من ضرر أدبي ومادي نتيجة لهذه المصادرة .

وقد كان لكاتب هذه السطور وزميلين كريمين له جهد في فحص هذا الكتاب ، ورفع تقرير عنه ، ثم في الاتصال بالقضية ومتابعة أطوارها ، ويهني أن أبادر بتسجيل شكرى باسم الدين والعلم والأزهر لحضرات أعضاء هذه المحكمة العادلة ، ولا سيما رئيسها الجليل سامي مازن بك ، فقد لمست عنايتها الفائقة بالموضوع ، وحرصها الشديد على تتبع كل ما يتصل به ليتجلى لها الحق ، ويسفر أمامها الرأي واضحاً في هذا الموضوع الخطير ، حتى لقد علمت أن حضراتهم قرأوا في موضوع الرسم والقراءات عشرات من الكتب المؤلفة قديماً وحديثاً ، ووقفوا عند كل موضوع من الموضوعات المتصلة بالقضية موقف الناقد البصير ، والفاحص الخبير ، وإن سعادة الرئيس لم يكن يكتفي بهذا ، ولكنه كان يتناقش شفويًا مع العلماء في كل نقطة يرى وجوب استجلائها قبل الحكم ، وقد زار الجامع الأزهر واتصل ببعض علمائه باحثاً منقياً حتى اطمأن قلبه .

وكذلك فعل حضرة الأستاذ الكبير هبـد الحليم بك الجنـدى المحامى عن الحكومة والازهر فى هذه القضية ، بل المحامى عن القرآن الكريم ، فقد كان مثال المؤمن بالله وكتباته ، الغيور على كتابه ، الحريص على تجلية الحق ، والظفر له بحكم يسجله التاريخ ، ولست أنسى ما حييت موقفه يوم الدفاع عن كتاب الله ، وقد أخذته مُحميًّا للإيمان ، وهزت مشاعره الحماسة الدينية ، فتدفق بيانا بالبراهين الدامغة ، وصدع صوتا بالحق فى إخلاص عميق مؤثر ، حتى لكأن نبراته يومئذ نداء من السماء أن خذوا على يد هذا المسمى ، وعلوه أن كتاب الله لا تنال منه الترهات ، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

فاللهم أشكرهم على ما سمعوا ، وأجزهم بالخير على ما راعوا ، وأكثـر فى المسلمين أمثالهم ممن يغارون على الحق ، وينصفون فى الحكم .

مركز تحقيق كاتبيت علوم إسلامي

كتبت هذا الكلام اعترافاً بفضل أصحاب الفضل ، وتسجيلاً له ، وأقول

بعد هذا :

لقد كثر فى هذا العصر التطاول على الدين ، والتجرؤ على حمائـقه وأصوله المسلمة ، وأصبحنا نرى كثير آمن يريدون الشهرة ، ويلتمسون الرواج ، يعملون سبيلهم إلى ذلك ما يحاولونه من التشكيك فى الدين ، أو فى قدرة أحكامه ، وتشريعه على النهوض بحاجات الناس ، وكفالاته لسمادتهم ، وما هكذا تلتمس الشهرة ، ولا يمثل هذا يكون الظهور . فقد كان سلفنا يقضون أعمارهم فى البحث والتعمق والنظر الصائب ، ويصبرون على متاعب العلم ، ومصاعب التفكير ، ويعملون لأنفسهم حدوداً لا يتعدونها ، فهم فى فلك الكتاب والسنة يدورون ، وعلى أساس من العقل السليم ، وأصول الشريعة يحكمون ، لذلك كانت تأليفهم

موفقة ، نافعة ، راشدة ، وكانت أخطاؤهم إن أخطأوا مغفورة ، لأنها أخطاء
الخلصين الذين لا يبتغون إلا الحق والمعرفة ، فإن أصابوا أجروا ، وإن أخطأوا
أجروا ، بخلاف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ،
ويقولون سيغفر لنا ، وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه . ألم يؤخذ عليهم ميثاق
الكتاب ألا يقولوا على الله إلا الحق ودرسوا ما فيه ، والدار الآخرة خير للذين
يتقون أفلا تعقلون ، والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة إنا لا ننزع
أجر المحسنين .

ومن الخير أن نتعرف العوامل التي دعت إلى أن يكثُر فينا هذا الصنف من
المؤلفين ذوي الدعاوى المريضة ، والأقلام الطائشة .

وأحسب أن الأزهر إذا اكتفى بأن يصادر كتاباً أو كتابين في كل عام ،
فإنه غير مستطيع وقف هذا التيار الذي إن بدا اليوم هادئاً بعض الهدوء ،
فسيكون غداً جارفاً مكثحاً .

وفي اعتقادي أن الناس لم يجدوا غذاء دينياً صالحاً يقدم لهم ، فأقبلوا على
مثل هذا الغذاء الذي تضوى به العقول ، وهذه سنة الله في كل مجتمع ، فإن أي
تقصير في بث الأفكار الصالحة فيه ، يستتبع بقدره إقبالاً على الأفكار الفاسدة ،
أو المخطئة ، فلو أن الأزهر أخذ بوسائل العصر الحاضر في تنوير العقول ، وتجلية
الحقائق أمامها ، ومدّها بزاد طيب لا خبث فيه ولا نكر ، لكانت الأمة كلمة
كأهل الأزهر ، ولكان بعض أفرادها دعاة ذوي غيرة ، ولو وجد المجتمع الحفيظ
بعضه على بعض من الزلل والضلال .

وقد علمتنا تجارب الأمم في العصور الأخيرة ، أن الشعوب تصاغ ، وأن
العقول تحشد وتجنّد ، وأن زعماً مخلصاً لفكرة ، مؤمناً بمقيدة ، يستطيع أن يقنع
بها جيلاً بأسره ، أو أجيالاً ، إذا أحسن الدفاع عنها ، وتوجيه العقول إليها .

ونحن في أيدنا أقوم المبادئ ، وأثمن الشرائع ، وليس فيما هرفته البشرية
من الأديان ، ما يقف أمام ديتنا موقف المنافسة أو المنازعة ، وبين ظهرانينا

كتاب الله وسنة رسوله ، وفي مكتباتنا خيراً ما أنتجته العقول ، وجادت به القرائح وقد أوتينا قسطاً عظيماً من السلطان في الأمة ، والقدرة على توجيهها بما في أيدينا من مناصبها وأموالها ، وبما لنا من نفوذ روحى دينى لا يتمتع به حزب . ولا تنافسنا فيه جماعة ، ولكن ينقصنا حسن الانتفاع بهذه المزايا ، وأتانا قد شغلنا عن رسالتنا بأشخاصنا ، وتفرغنا للمنازعات والمخاصمات ، من سرية وعلنية ، فأرهمتنا بذلك أعصابنا وعقولنا ، وصار الكلال والنخازل والتراخي من أبرز الصفات في محيطنا .

يجب أن نعمل ، بل أن نشقى ونحرق في العمل ، حتى نستطيع أن نربي ناسئة منا على فهم الدين والعلم فهما صحيحا ، وعلى عشقهما العشق الذى يجعلنا نفى فيهما ، وتلذذ بما يصينا من نصب في سبيل تحصيلهما وترويهما في الناس .

يجب علينا أن ننير العقول بما عندنا من العلم ، فقد جربت بنفسى أن كثيراً من المثقفين ثقافة مدنية يقابلون بعض أفكارنا مقابلة فيها جفوة وتنسك ، بل فيها أحيانا سخرية وتهكم ، ثم لا يلبثون إذا شرحت لهم شرحاً دقيقاً ، أن يتبينوا الحق ، ويفيئوا إليه ، ويكونوا من دعائه .

وليس هذا على المجتمعات بغريب ، فإنه لسنة الله فيها منذ القدم ، وقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يؤمنوا أساطين الشرك ، وأسانيد الكفر ، فاستطاع فرد واحد ، ثم أفراد معه أن يغزوا بهم العالم ، ويغيروا وجه التاريخ .

إننا نشكو من انصراف الأمة عنا ، ونغضب حين نرى رجال الحكم فيها يغضون عن مطالبنا ، ولا وسيلة إلى مداواة هذا وذاك إلا بأن نعمل ونعمل ونعمل ، يومئذ يأتى إلينا الدهر معتذراً ، ويترك أبوابنا الذين نطرق اليوم أبوابهم فلا يجيبون .

مَنْ تَوَجَّهَ بِالنَّفْسِ إِلَى الْفِرَاقِ فِي تَرْبِيَةِ الْخَلْقِ

أ — وإن تَعَفَوْا أَقْرَبَ لِلتَّغْوَى
ب — فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ عبد اللطيف السبكي
المفتش بالأزهر

أ — هنا : دعوة إلى العفو عن المساءة ، والعفو من صفات الرحمن عز شأنه ، وما يبلغ طرفاً من صفات الله إلا من سلمت إنسانيته من ضراوة الوحشية ، وآسامت به نزعات الخير حتى نهيء له أن يتخلق بأخلاق الرحمن ، ويرقى إلى شيء من أسباب ذلك الكمال المطلق تحقيقاً كما في قوله تعالى :
ومعذرة إلى القاريء إذا استطردت معه قليلاً ، لا بين أن القرآن الكريم حينما يهتف بالإنسان إلى ناحية من نواحي الكمال ، تراه يخاطب فيه مرة إنسانية واعية ، ويعتمد فيه على عقلية تفقه ، فيترقب في خطابه ، إذ يكون الرفق أشبه بمقام الإنسان ، وبه يكون الخطاب أوقع في السمع ، وأسلس في الفياض ، وأيقظ لغيرته الاعتداد بالنفس .

ولك شاهد على هذا أن تقرأ - مثلاً - قوله تعالى : « فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلماً ولا هضماً ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ، قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم ، ومن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، » .

فأنت إذ تقرأ هذه الآيات ونحوها يجيش في نفسك الأمل أن لك عند الله كرامة ، ويهزك الطرب أنك على مقربة من مرضاته ، وتزع بك الرغبة إلى

الاستزادة من وسائل الزلنى إليه ، أو ليس يحفزك على الاقدام نحو الكمال أن
شملك بالخطاب فى قوله يا عبادى ، وأن أكذلك الوعد أنك لا تصادف عنده ظلما
ولا هضميا ؟ وأنتك إذا ركنت إلى جانبه ولم تقنط من رحمته فستغفر لك
الذنوب جميعاً ؟

تحس بكل ذلك حينما ترى القرآن يناجيك من ناحية إنسانيتك ، ويفترض
فيك الصلاحية للخير ، ويفتح أمامك منافذ الأمل ، ويوحى إليك إذ أنزلك هذه
المنزلة ، أنك فوق ما عداك من كائنات أخرى .

غير أنك ترى القرآن فى سياق آخر حينما يتجه إلينا بالبيان ، يلحظ فى الإنسان
غرائز جامعة ، ونوازع شاذة ، فيصدف عن الترفق ، ويشدد فى القول ، إذ يكون
الإنسان فى هذا الوضع ليس ذلك المخلوق الكريم الذى ترضاه باللين ، وإنما هو
العاجز المتعافى ، والحقير المتكبر ، والضعيف المتعجب ، وحينئذ تكون الصرامة
أجدى فى إصلاحه ، وأنجح فى تقويمه ، وأوفق لجوهره ، فإن لم تصلح من شأنه
ففيها تصوير لهوانه ، ونزول به إلى مهبط وضع ، ورجوع به إلى مكانة ذليلة
تباين ما افترض لنفسه ، وأصدده عن غلوائه ، وتكشف له عن إمعانه فى الباطل .

وشاهدك على هذا أيضاً أن تقرأ - مثلاً - قوله تعالى : وأنذرهم يوم الحسرة
إذ قضى الأمر وهم فى غفلة وهم لا يؤمنون ، ألم أعهد إليكم يا بنى آدم ألا تعبدوا
الشیطان إنه لكم عدو مبين ، ألا يذكر الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو
خصيم مبين ، إن ربك لبرمصاص ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ، وإن
للطاغين لشر مثاب ، الخ .

فأنت إذ تقرأ هذه الآيات ونحوها بما فيه تبيكيت للإنسان ، وغض من
كبرايائه ، وتديد بضعفه ، وإبراز لما خفى عليه من شأنه ، وقبح ما تخير لنفسه ،
حين تقرأ ذلك لا تحس بشىء مما استشعرته فى الآيات الأولى ، فهناك مثله هدى ،
ونصح فى رفق وتكریم ؛ وهنا مثله لوم وتعنيف ، يسمع المرء فيه تهديدا يذيب
الحشا ، ويحس أن سيكون فى ردهة الحكم أمام قاض جبار ، وإن يكون فى مساحة
المغفور بين يدي غفور رحيم .

ذلك استطراد أجملته بين يديك ، لأريك به أن القرآن الكريم ، يقف من الإنسان موقف التكريم في الخطاب مرة حينما يقدر له إنسانيته ؛ وموقف الزاينة به مرة أخرى حينما يهمل ذلك الجانب ، ويقصد إلى ما في الإنسان من جموح .

ومن القليل الأول صنيع القرآن في توجيهنا إلى التجميل بخلق العفو ، فهو يترفق في الطلب ، ويبين في إيجاز يسير أن العفو أقرب للتقوى ، تاركا لمداركتنا أن تميز الحديث من الطيب ، ومعتمداً على عقولنا أن تفقه وتستجيب .

على أنه فيما ساق من آيات أخرى ، ركز في عقولنا أن العفو خلق برجح كثيراً سواء من أخلاق الفضيلة ؛ فهو وسيلة هامة في الحفاظ على حسن العلاقات ، وحسم الشر ، وصيانة الجماعة من عوادي الخلق الذي تشيع من ورائه ظنون سوء ، وينحدر في ظلماتها الشيطان يعمل عمله في إفساد القلوب ، وتفريق الجماعات .

وكان القرآن — فيما أحسب — أذ يعتبر للعفو هذا الشأن . يراعى إلى جانب ذلك — في تقديره للإنسان — أن العفو محتاج إليه حينما يحتاج النفس عدوان يمسها ، أو تحيف يصيبها ، فيكون المرء مدفوعاً بالفرصة إلى المقاومة ، ومن حقه ذلك ، فليكن طلب العفو منه ، والتغاضي عما ألم به ، طلباً هيناً ، لا يشعره باغتصاب حقه ، وكبت إرادته ، والانحياز به إلى الخنوع .

ولينبه في تلطف إلى أن العفو أقرب للتقوى ؛ إذ فيه عزوف عن الشقاق ، وكف للغضب ، ومجانبة لما يخشى من الإفراط في الجزاء فتتسع الهوة ، ويندلع الشر ؛ إذ لا يملك نفسه عند ثورتها ، ويطامن من شموخها إلا من نهضت مداركه ، فاعتدل فيه الرأي ، واستقام له التقدير ، واطمأن إلى أن العفو جانب من الرفق ، وما كان الرفق في شيء إلا زانه كما علينا الرسول عليه السلام . . وقليل من يفتن إلى ذلك ، والمتبع لآي الكتاب في صدد العفو يجدها على هذا النحو سلسة ، ومرونة وترغيباً ، لا تشعر بك بضغط ، ولا تم عن إكراه ، وهي لذلك في سياق العرض أدخل إلى النفس ، وأملك للفؤاد .

وإليك ذكر العفو فيما ذكر الله من أسباب مغفرته ، ووسائل رضوانه ، فمن عفا وأصلح فأجره على الله ، ، ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور ، ، وليعفوا ، وليصفحوا ، ألا تحبون أن يغفر الله لكم ، وكذلك أمر نبيه في غير موضع بالعفو حتى مع أعدائه ، فاصفح الصفح الجميل ، ، فاعف عنهم واصفح ، ، وخذ العفو ، وأمر بالعرف ، وأعرض عن الجاهلین ، .

وجملة القول فيما وصلنا إليه : أن العفو من صفات الله ، ومن شمائل الرسول ومن خصال الأخيار ، وأن في الدعوة إليه على هذا النحو كثرة الشواهد ، ولطف التعبير توجيهها إليه ، وإلى اختيار الأسلوب في الدعوة إلى كل غرض كريم ، حتى تكون الوسيلة ملائمة للغاية ، وبذلك تظل التعاليم الصالحة في نمط الدعوة إليها كمدن نفيس في حرز كريم ، لك دائماً من حرزة رواء المنظر ، وفيه صدق الخبر ، وصدق الله فيما رسم ، ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، .

ب - ومع ما أسلفنا من القول في شأن العفو ديناً ، ودنياً فلدينا الآية الثانية تأمر بالانتقام ، فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ، فكيف يلتقي هذا مع ذاك ؟

الأصل ألا تهدر الحقوق ، وأن تكون العدالة ماثلة بين الناس ، بادية في كل شأن عظيم أو هان ، وسبيل ذلك أن يلقي المسمى جزاءه ، وأن يُدْرَأ الشر بالشر حتى يستقر الأمر في مجراه ، ويستقيم العدل في نصابه ، وعلى ذلك يكون الاقتصاص مشروعاً ، واستيفاءه حقاً وأن كان في غير خطير .

ولكن بين الناس وشائج تدعو إلى التعاطف ، وتقضى بالتراحم ، وتأبى المشاققة والتنازع ، وبين الناس اعتبارات معيشية أحوج ما تكون إلى التسامح ؛ فالأمر بحاجة إلى المسالمة ، وبجانب الغلظة والجفاء .

فكان من تمام النعمة أن يكون للتراحم بين الناس إلى جانب العدل شأن في تدبير الله ، وكان من مظاهر الحكمة أن تكون الرحمة أوفر حظاً في تقدير الله ،

وكان في تقديم العفو على المجازاة ، وترجيح الرحمة على العدل أخذ بسنة الله فيما اختار لنفسه مع خلقه ، وفيما رضى لنفسه من صفات الكمال .

فحين إذ نرى أنفسنا في حل من مجازاة المسمى بما فعل ، ونرى ذلك عدلا تنقرر به الحقوق ، وتضمن به الكرامات ، نرى دواعي أخرى إلى العفو ، السكينة ، وتركيز المحبة ، وتأصيل المودة .

ولعل من وراء ذلك ظفرا بما كان يرجى من العدل والجزم ؛ مع البعد عما قد يتركه العدل من وحشة وبغضاضة ؛ لقيامه على غير المجاملة ، ولتعرضه أحيانا للمبالغة في التشكيل وتجاوز الحد المشروع .

وأنت إذا تمتعت آيتنا هذه تبينت فيها تحديداً دقيقاً لتشريع المجازاة مما يوحى إليك ، كأن العفو أصل والجزاء استثناء . فهي - أولاً - مبدوءة بقوله تعالى : فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه ، وهذا قيد سيق أول الكلام للتنبيه على أن المجازاة على العدوان لا تكون إلا بعد حصوله فعلاً ، أو بعد الشروع الذي يؤذن حتماً بوقوعه على ما هو مبين في الفقه ، وهي - ثانياً - تسمى الجزاء اعتداء ، فاعتدوا عليه ، لا مجرد المشاكلة اللفظية كما يقال ؛ بل لأن الاساءة في حقيقة عدوان ، وإنما اغتفرت في مقام الجزاء ، وهذه إباحة عارضة لا تغير من حقيقة ثمتها أو اسمها . فالخمر خمر وإن صلحت دواء في حال من الأحوال . وهي - ثالثاً - تنيد بإباحة الجزاء بأن يكون مثل العدوان لا أزيد منه . وهي - رابعاً - مقرونة بالأمر بالقوى ، واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين ، تحذيراً من المبالغة في الجزاء فلا يكون علاجاً للشر ، وإنما يكون استرسالاً في الشر .

وكذلك ترى كل آية تؤذن بالقصاص مخفوفة بقيود تضيق من دائرته ، وتحذر من الإسراف فيه ، بلى وتصرف عن الأخذ به . اقرأ مثلاً قوله تعالى : « وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ، ولئن صبرتم لهو خير للصابرين » .

وقوله تعالى : « ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ، ثم بغى عليه لينصرنه الله إن الله لعفو غفور » .

وقوله : « وجزاء سيئة سيئة مثلها فن عفا وأصح فأجره على الله ، ففي كل واحدة منها ترغيب عن المجازاة ؛ غير ما رأيت في كل آية من آيات العفو : من الترغيب فيه والثناء عليه . وإلى جانب هذه التوجيهات ترى آيات القصاص لا تبلغ من السكثرة في القرآن ما بلغت آيات العفو ، ولا ترى فيها إلزاما بالقصاص كما ترى في بعض آيات العفو ، بل جاءت هذه في أسلوب البيان لحسب ، ولذلك اتسع سياقها لأن يذكر معها الصبر ، أو العفو أو التقوى وما إلى هذا .

ورب قائل : أليكون العفو في كل شيء مجدياً ، وفي كل حال مطلوباً ، وتكون الدهوة إليه مطردة ؟

والجواب أن كلا الأمرين — العفو ، والقصاص — منوط بأغراض تعلقت به ، وغايات قصدت منه ، فليس العفو مستحسناً مع من يستمرته ويكرر عدوانه ، بل ذلك من وضع الندي في موضع السيف ، وهو مضر بالعلا كما قال الشاعر ،

وليس من متعلقات العفو ما يعتبر من الأمور العامة ، مما له اتصال بحياة الناس ، ونظام المجتمع ، كالسرقات ، وانتهاك الحرمات والأعراض ، وقطع الطرقات ، ونحو ذلك مما له خطر على الأمن العام ، أو سياسة الحكم ؛ فأنها أمور لا تستقيم على الهوادة والتسامح ، بل يعوزها الصرامة والأخذ بالعنف لترجع النفوس الجاعحة عن غيها .

ولذلك ترى القرآن يشتد في الأمر بقطع السارق ، والسارقة ، وجزاءهما كسباً نكالا من الله ، ويشدد في جلد الزانية والزاني ، ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله الآية ، كما تراه يقسو على قطاع الطريق ، وكما تراه يشتد في تهديد الشاهد إذا زور ، والحاكم إذا جار ، والقاضي إذا انحرف : كل ذلك مما يابى التسامح لئلا تختل نظم الحياة ، وليظل الأمن موفوراً ، ولينعم الناس في دنياهم ، وليرى الله آثار نعمته عليهم فيما يحسنون من عمل ، وفيما يشكرون الله من نعمائه .

لغويات

لمفضيلة الاستاذ الجليل الشيخ محمد علي النجار
الاستاذ بكلية اللغة العربية

افعلوا الخير ، ذلك خير لكم وأبقى

يرى في هذا المقال أفراد الكاف اللاحقة لاسم الإشارة في حين أن المخاطب جمع ، وكان مقتضى هذا أن يقال : ذلكم . وقد جرى في بعض المجالس حديث في هذا الشأن . وذكر بعض من في المجلس - وهو ذو خطر ومكانة - أنه في حال طلبه العلم وتلقيه على الشيوخ أورد على شيخه بيتا فيه مثل هذا وهو :

قالوا : كلامك هذا وهي مصغية بشغيبك . قلت : صحيح ذاك ، لو كانا

فقال له : كيف قال الشاعر : صحيح ذاك ، وهو يخاطب جمعا . ألا ترى إلى قوله : قالوا . ؟ ويقول محدثنا : إن الشيخ أجاب بأن الشاعر نزل الجمع منزلة الواحد لما كانوا متفقين في الإخبار ، وكانوا ألبا عليه في القول ، ونازهين في ذلك عن قوس واحدة . وهو منزع لعمرى حسن . وقد قيل بمثل ذلك في قوله تعالى : . وإن نظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير ، ، فقد جاء ظهير وهو مفرد خبرا عن جبريل وما عطف عليه لما كانوا في المظاهرة يدا واحدة على من يعاديه .

ولكن يؤخذ على هذا المجيب أنه سلم بما يتضمنه السؤال : أن هذا الأسلوب خارج عن العربية يحتاج إلى تخريج وجواب عنه والتماس وجه له . وهو يرى كاف الإشارة ككاف الضمير يلاحظ فيها دائما حال المخاطبين ، فتكلف هذا الجواب وتجشم مثونة التأويل . وقد بحث ابن هشام في قول الشاعر :

ولست بمائل جارات يني أغيب رجالك أم شهود ؟

وموضع البحث قوله : رجالك ، فإن الواجب أن يقول : رجالكن ، فإياه
قال : رجالك بالافراد ؟ . ويقول ابن هشام في الخروج من هذا : إنه حين يسأل
جارات بيته لا يسألن دفعة واحدة بل يسأل كل واحدة : أغائب رجلك أم
شاهد ؟ فهذا وجه الافراد . ويقول التبريزي إن محل ذلك الضرورة الشعرية لم
تتح للشاعر أن يقول : رجالكن فقال ما تيسر له . وأعود لما نحن فيه فأقول :
إن الكاف اللاحقة لاسم الإشارة ليست ككاف الضمير ، فالكاف اللاحقة
لاسم الإشارة الكثير فيها والغالب أن يلحق بها ما يبين حال المخاطبين ، فيقال
ذلكم وذلكن وذلكا وهكذا . وقد يقال للجمع ذلك بكاف واحدة ، وعلى ذلك
جاء البيت الذي كان موضع السؤال . ومما جاء من ذلك قوله تعالى في الآية ٨٥
من البقرة : . ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من دياركم ،
تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان وإن يأتوك أسارى تغادوهم ، وهو محرم عليكم
إخراجهم ، أفقومون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ، فما جزاء من يفعل
ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ، ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب
وما الله بغافل عما تعملون ، ، فترى قوله فما جزاء من يفعل ذلك منكم فيه أفراد
الكاف والمخاطب جمع ، ومثل ذلك قوله تعالى في سورة النساء : ذلك لمن خشى
العنت منكم ، وورد في الآية ٢٣٣ من البقرة : وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن
فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن إذا تراضوا بينهم بالمعروف ، ذلك يوعظ به
من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ، ذلكم أزكى لكم وأطهر ، والله يعلم وأنتم
لا تعلمون ، وترى أن المخاطبين في الآية جمع وقد جاء اسم الإشارة ذلك ثم جاء
ذلكم والخطاب لم يتغير ، وقد أبعد بعضهم فقال : إن الخطاب الأول للنبي
صلى الله عليه وسلم . وفي سورة المجادلة جاء قوله تعالى : . يأيا الذين آمنوا إذا
ناجيتم الرسول فقدموا بين يديكم صدقة ، ذلك خير لكم وأطهر ، فإن لم تجدوا
فإن الله غفور رحيم ، : فترى كيف أتى بذلك والخطاب للذين آمنوا . وذلك أن
الكاف قصد بها إلى أن تؤدي معنى الخطاب فقط ، ولا ينظر فيها إلى بيان حال
المخاطبين . ويقول النحاة في هذا الموضع : إن الكاف فيها ثلاث لغات :

اللغة الأولى : أن تتصرف الكاف فيلحق بها ما يبين عن حال المخاطبين .

واللغة الثانية : أن تكون الكاف المفتوحة للمذكر بأنواعه ، والمكسورة للمؤنث بأنواعه .

واللغة الثالثة : أن تكون الكاف المفتوحة للجميع مذكرا ومؤنثا . وعندى أن هذا ليس لغات مختلفة ، وإنما هي أوجه في اللغة الواحدة ، ولا يرجع إلى اختلاف القبائل واللغات . وذلك أن الشاعر الواحد قد يأتي في كلامه الوجهان .
ففي شعر طرفة :

نحن في المشتاة ندعو الجفلى لا ترى الآدب فينا ينتقر
حين قال الناس في مجلسهم أقنار ذاك أم ربح 'قطر'
ومن شعره أيضا :

أخبرت أن الحى ففرق بينهم نوى غربة ضرارة لى كذلك
إردب ، أردب ، أردب

الإردب في مصر معروف من قديم . ويقول الأخطل يهجو :

والخبز كالغبر الهندي عندهم والقمح سبون إردبا بدينار

ويجمع الإردب على الارادب . والجارى على الالسة تشديد الباء في الجمع كما هي مشددة في المفرد . وقد جاء التشديد في اللسان بضبط القلم ؛ ففيه : . وجمع الإردب أرادب ، وتراه في هذا الضبط ممنوع الصرف . ويرى الشيخ عوض في تقريره على شرح الخطب الشريفي لأبي شجاع في فقه الشافعية صرفه . ويعمل ذلك بتعليل غريب ، وذلك أنه يرى أن سكون الباء عارض ، وهو من باب طراعية وكراهية وملائكة . وهذا غير سائغ ولا مقبول ؛ فإن أصل الجمع على هذا أراديب وما عهدنا جمعا على هذه الزنة . هذا إلى أن وزن إردب إفعل واللام سكونها أصلى فليس أصله إردب وإلا وجب البيان والإظهار ، ولم يحز الإدغام لأن هذه زيادة للإلحاق كما في قرَدَد ، وإذا كان سكون المفرد أصليا

كان سكون الجمع كذلك . وماك كلام الشيخ عوض : (قوله ستة أرادب) بصرفه ، لانه بعد ألف تكسيه ثلاثة أحرف وسطها ليس ساكنها أصالة بل عرضا للإدغام ، فهو كلائكة وطواعية .

وقواعد الجمع الاقصى في العربية تأتي تشديد باء أرادب وتنفيه البتة . وذلك أن هذا الجمع لا يكون بعد ألف تكسيه ثلاثة أحرف إلا إذا كان أوسطها حرف لين كقناديل وعصافير ، فأما في غير ذلك فلا يكون بعد ألف التكسير إلا حرفان ، فتقول في جمع سفرجل سفارج فتحذف اللام ولا تقول سفارجل لأن هذا لا يستقيم في العربية ، ويقول الخضرى في كتابته على ابن عقيل في آخر مبحث جمع التكسير . لا يقع بعد ألف التكسير ثلاثة أحرف إلا وأوسطها ساكن معتل كمصابيح ، وإذا كان مثل سفرجل يحذف منه اللام في الجمع ، وهي حرف أصلي فيقال سفارج ، فأولى بذلك الحذف في إردب وأحد الباءين زائد . ويقول صاحب القاموس في جمع قرشب : وهو المسن والسيء الحال ، قراسب بتخفيف الباء ، وقد جاء هذا الجمع في كتاب سيويه ص ٣٣٧ ج ٢ . وبما هو من قبيل الإردب الأسطمة وأسطة البحر مجتمعه ووسطه ، وفي اللسان أن جمعها الأساطم ، وفيه أن تمبا تقول في الجمع الأساتم ، تعاقب بين الطاء والتاء فيه . فترى أنه لم يقل القرشب بتشديد الباء ولا الأساطم بتشديد الميم ، مع تشديد الحرف في المفرد ، وذلك لانه لا يستقيم في هذا الجمع أن يكون بعد ألف التكسير ثلاثة أخرى أوسطها ليس حرف لين . وقد بحث النحاة جمع مصور فقالوا إن الجمع مصاور ، وذلك أن الواو هنا لما كانت مشددة كانت في قوة المتحركة فلم تكن حرف لين كما في كنهوز وغرنيق فيتمال كناهير وغرائيق .

وبعد هذا يتجلى تمام الجلاء خطأ الناس في تشديد الباء في أرادب ، وخطأ الضبط في اللسان ، وأنه من فعل النساخ أو أثر الطبع . والله الموفق للصواب .

المأسورة ، والمواسير

المأسورة تجرى في ألفاظ العامة ، ويجمعونها على المواسير ، وهي تقال للأنوبة أو للهنة المجوفة . وقد كنت لا آبه لهذه اللفظة ؛ إذ كانت من الكلمات الكثيرة التي أصبحت عماد اللغة العامية التي أصبح من العسير تعرف ماناها ، وتلصق مناشئها . غير أني وجدت هذه الكلمة في حاشية البجيرمي على شرح المنهج في فقه الشافعية في باب الحيض في كلام نقله عن الشيخ علي الشبرايملي ، فاسترعت نظري وحدتني على البحث فيها . ويبدو لي أن أصلها المصير وهو المَعْيَى ويجمع على المصيران كما يجمع الكشيبي على الكشبان والريغيف على الرغفان . والمصير أجوف فهو يشبه القصبة الجوفاء ، غير أنه كدنه غير مُصْلَب . فأطلق المصير على الهنة المجوفة ، وجرى فيه من التحريف ما أصاره إلى المأسورة .

العينه

تطلق العينة على ما يكون نموذجاً للشيء ، فهي قطعة من الثوب ، أو حفنة من الحب ، وما جرى هذا المجرى ، وقد بحثت في منشئها فبدأ لي أن أصلها البعينة والعينة للشيء خياره ، والتاجر يقدم في العادة النموذج لما عنده كخبر بضاعته وأجودها ، وفي اللسان : وعينة المال : خياره . وهذا ثوب عينة إذا كان حسناً في مرآة العين . واعتان فلان الشيء إذا أخذ عينه وخياره . وجمع العينة عَيْنَ . وقال الشاعر :

فاعتان منها عينة فاختارها حتى اشترى بعينه خيارها .

البلاغة

قال اهرابي : البلاغة التقرب من البعيد ، والتباعد من الكلفة ، والدلالة بتقليل على كثير .

وقال عبد الحميد الكاتب المشهور : البلاغة تقرير المعنى في الإفهام ، من أقرب وجوه الكلام .

وقال ابن المعتز : البلاغة البلوغ إلى المعنى ولم يطل سفر الكلام .

وقال إبراهيم الإمام : يكفي من البلاغة أن لا يوثق السامع من سوء إفهام الناطق ، ولا يوثق الناطق من سوء فهم السامع .

مفردات فلسفية

خلق - أخلاق

الفضيلة الدكتور محمد يوسف موسى
الاستاذ بكلية أصول الدين

أحييت أن أختم باب « مفردات فلسفية » هذا العام من أعوام المجلة بالكلام عن خلق وأخلاق ، ذلك ما يتطلبه الوقت ، وبخاصة وقد رأت جماعة كبار العلماء ، في الأزمهر أخيراً أن تلغى التفتاة جادة لسوء الحالة الدينية والخلقية في البلد ، فترفع في ذلك كتاب إلى مقام مولانا الملك حفظه الله ، وآخر إلى رفعة رئيس الوزراء .

أحييت إذاً أن أعرض لتحديد كلمة « خلق » ، وبيان مفهومها وما صدقها ، لأنى المبح خلافاً في هذا بين بعض من يتكلمون في إصلاح الأخلاق ههنا وبين الفلاسفة والمصلحين الاجتماعيين بحق ، لهذا يكون من الخير أن نحدد مفهوم هذه الكلمة ، وأن نبين ما صدقها ، حتى إذا أُلحنا في طلب إصلاح الأخلاق نكون على بينة من أمرنا وبما نريد .

١ — يذكر الجرجاني في كتاب « التعريفات » أن الخلق عبارة عن هيئة للنفس راححة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية ، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة سميت خلقاً حسناً ، وإن كانت بحيث تصدر عنها الأفعال القبيحة سميت خلقاً سيئاً .

٢ — ويذكر التهانوي في « كشف اصطلاحات الفنون » أن الخلق في اللغة : العادة والطبيعة والدين والمروءة ، والجمع الأخلاق ، وفي عرف العلماء ملزمة تصدر بها عن النفس الأفعال بسهولة من غير تقدم فكر وروية وتكلف .

ثم الخلق ينقسم إلى فضيلة هي مبدأ لما هو كمال ، ورذيلة هي مبدأ لما هو نقصان ، وغيرهما وهو ما يكون مبدأ لما ليس شيئا منهما .

٣ — ويذكر التهانوي أيضا بعد هذا ، أن الخلق العظيم ، هند السالكين هو الإعراض عن الكونين والإقبال على الله تعالى بالسكينة ، وأن الخلق العظيم ، المشار في قوله تعالى مخاطبا الرسول صلى الله عليه وسلم : ، وإنك لعلى خلق عظيم ، هو القرآن على ما قالت عائشة رضى الله عنها . بمعنى أن القرآن كان جبلة للرسول ، صلى الله عليه وسلم ، من غير تكلف .

هذا ما يذكره الجرجاني والتهانوي ، وهو لا يختلف عما يذكره غيرهما من أصحاب المماجم والتأليف الفلسفية . وإذا ، فلا حاجة للإطالة بذكر نقول أخرى .

٤ — وأخيرا ، تطلق كلمة خلق ، ويراد بها أمر آخر غير الهيئة أو الملكة التي تصدر عنها الأفعال الطيبة أو الخبيثة ، وذلك الأمر الآخر هو الأفعال نفسها مثل العدل والظلم ، والكرم والبخل ، والصدق والكذب ، والبر والفجور . وهذا الإطلاق ، كما نرى ، تجوز في التعبير .

مرکز تحقیق و ترویج علوم اسلامی

من أجل ذلك ، يجب ، إذا أردنا أن نكون منطقيين وعمليين في طلب إصلاح الأخلاق ، أن نعلم إلى الشر نجش من جذوره ، ولأمر نصلحه من أساسه ، يجب أن نعلم إلى إصلاح النفوس وسجاياها وملكانها التي تصدر عنها ما تضيق به ذرعا من الأفعال ، أى الأفعال السيئة الخبيثة ، ومتى صلحت هذه النفوس ، امتنع أن يصدر عنها هذا الضرب من الأفعال ، وصارت بحيث لا يصدر عنها إلا الأفعال الطيبة والأخلاق الحسنة ، وذلك لأنها اكتسبت ملكات جديدة طيبة تنأى بها عن الشر وتبعثها إلى الخير .

ونكون غشائين إذا ، فيما أعتقد ، إن لم نفعل — حين نرى الفساد الخلقى استشرى بين طبقات الأمة المختلفة — شيئا آخر غير أن نرفع الصوت غالبا لإصلاح هذا الحال ؛ ذلك بأن هذا الفساد ، الذى يتمثل فيما تنشره الصحف من أعمال تدل على التحلل من التقاليد الطيبة والآداب الدينية ، ليس إلا أماراة على شذوذ في النفس يجب أن نطّـب له .

الشدوذ في النفس كالشدوذ في الجسم ، له سببه الأول وعلته الأصلية ، ومن الواجب على طبيب الجسم أن يلتفت أولاً لعلته الداء ، فإذا عرفه واستأصله زالت أعراضه ومظاهره بطبيعة الحال . كذلك على طبيب النفس أن يبحث عن علة ما يصيب النفس أحياناً من شدوذ هذه العلة التي يكون عنها ما تعدد فسادا وتحللاً من الدين والأخلاق ، وسبيل هذا ، فيما يرى المصلحون جميعاً ، التربية الطبية للنفوس ، والقدى الصالحة في الرؤساء وأولياء الأمور في هذا البلد ، هذا البلد المنكود بكثير ممن يتصدون للإصلاح الخلقى فيه .

علينا إذاً أن نتعاون في سبيل تربية جيل جديد ، تربية قوامها الدين والخلق ، تربية تجعل النفس خيرة تلتفت للخير من ذاتها ، وترى الشر في القول والعمل امتناناً لها ولكرامتها وأمرأ قبيحاً تنفر منه بطبيعتها .

ذلك ، وهناك ناحية أخرى يجب أن نلتفت لها : إن الأخلاق السيئة التي لا بد من التعاون في سبيل مكافئتها ، بهذه الطريقة أو تلك ، ليست فقط الخلاعة والتهتك وما إلى هذا السبيل . إنها أيضاً ، مع هذا سوء فهم العلاقة التي ينبغي أن تكون بين الحاكم والمحكوم ، والغنى والفقر ، هذه العلاقة التي تقوم في غير قليل من الحالات على أسس لا تتفق في شيء والدين وروح العدالة ؛ هي مع هذا ، سوء استغلال الموظف الكبير لمركزه الذي جعل فيه ليقدم الأمة ؛ هي مع هذا أن يشقى صاحب الحق ، فلا يكاد يناله إلا بتضحيات من الكرامة والمال أحياناً يدفعها لمن بيده الأمر !

كل هذا نحسه جميعاً ، وكل هذا نخجل له ونألم منه بالغ الألم . وإذا كل هذا ونحوه يجب أن يدخل في الحساب حين نفكر في الثورة للأخلاق ، وحين نأخذ في التعاون لإصلاح الأخلاق ؛ لأنه ليس من الدين ولا من الخلق في شيء أن يحسن الرجل أداء الصلاة وغيرها من شعائر الدين ، ثم لا يؤدي بعض ما يجب عليه من عمل بحكم منصبه إلا إذا قدم له صاحب الحق أو العمل بين يدي نجواه هدية ... !

إنى لأعرف كثيرين يحال بينهم وبين حقوق لهم ، ثم لا يجدون لهم معينا أو شفيعاً لدى السادة الرؤساء أصحاب الدواوين ، ويكاد هذا الحال يقتل

في نفوسهم الثقة بالله وعدالته ، بالإيمان بالإنسانية ووجود ، إنسانيين ، يعملون للخير وللمقاربة المثل العليا .

هذه الحقائق ؛ وهذا الظلم الاجتماعي ؛ وهذا الفهم الخاطيء من صاحب المنصب لمنصبه ، ومن النائب لرسالته ؛ وهذه الضمائر التي ماتت أو في طريقها للذوب ؛ وهذه النفوس التي فسدت طبيعتها فصارت ترى العرف نكراً ، والنكر عرفاً - كل هذا وما إليه ، هو ما يجب أن يكون همُّ المطالبين بإصلاح الأخلاق ، المشفقين على مجتمعاتنا وأمتنا .

يجب أن نكون منطقيين وعمليين ، وذلك يقتضينا - نحن رجال الأزهر - أن نعمل على تكوين جيل جديد تصاغ نفوسه على حب الخير فتنبعث إليه ، وعلى كراهة الشر فتأبى عنه من ذاتها . وأن نكون صرحاء شجعاناً ؛ فطالب أيضاً بتصحيح الأوضاع الاجتماعية يجعلها تجري على سنن الدين والعدل ، حتى يؤدي كل واجبه دون حاجة لزلزلي أو قرينة من القربات .

يجب أن يتعاون رجال التعليم في الأزهر والوزارة والجامعة على جعل الغرض من التعليم تحصيل العلم الحق ، وتكوين الخلق الطيب ، وتحقيق الرجولة الناضجة ، وعلى أن تكون دور التعليم باعثة على هذا كله ، بالجود الذي يسود فيها ، والقدي الطيبة والمثل العليا التي تتجسم في القائمين عليها ، لا فرق بين أستاذ وأستاذ ، لا فرق بين مدرس الدين أو مدرس الآداب أو مدرس العلوم ؛ بذلك تنشرب روح التلميذ ما نريد له من تربية ، وما نحب أن ينشأ عليه من طباع ؛ بحيث يشب وقد اتخذت نفسه هيئة طيبة هي ما نسميها خلقاً حسناً ، وعن هذه الهيئة تكون الأفعال الطيبة الحسنة بسهولة وبسر .

وحتى يكون لنا هذا الجيل الجديد ، لا نجد بداً من أن نطالب من بيدهم السلطان أن يطبوا لهذا الفساد الخلق الذي يكاد يعم الأمة ، وذلك بالتشريع والحزم في تطبيق القانون . كما لا نرى بداً من أن نختم هذه الكلمة بالحديث المشهور الذي يقول : « صنفان من أمتي إذا صلحا صلح الناس ، وإذا فسادا فسد الناس : العلماء والأمراء » .

والله يقول الحق ، وهو يهدي السبيل .

عمار بن ياسر

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ عبد الله المراغي
مدير المساجد

لصحابة فضل عظيم ومقام جليل ، وفيهم القدوة الحسنة والمثل الصالحة للسير
على منهاجهم ، وهم يتفاوتون في الفضل وفي السبق إلى الإسلام ؛ كما يتفاوتون
في التفقه والإلمام بالأحاديث النبوية ، والعلم والحدق في فهم كتاب الله تعالى
وسنة رسوله .

ولقد كان عمار بن ياسر من هؤلاء الذين علت أقدارهم ، وسمت مداركهم
واستناروا وامتازوا بسبق إسلامهم ، ورضى رسول الله عنهم ووصفهم بالأوصاف
الكريمة ، فقد روى على رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « جاء عمار
يستأذن على النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أئذنوا له مرحباً بالطيب المطيب ،
وروى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أبشر عمار
تفتلك الغمة الباغية ، ، ولقد تحققت تلك النبوة - وسترى كيف تحققت هذه
النبوة الصادقة . وروت عائشة رضى الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
« ما خير عمار بين أمرين إلا اختار أرحدهما ، وعمار هذا هو ابن ياسر ويسكني
بأبي اليقظان وجده عامر الكنانى المذحجى العنسى وأمه سمية .

ولقد كانت أسرة عمار من الأسر المستضعفة في بدء الإسلام . حين كانت
للمشركين صولة ، وللطاغين دولة ، وللباطل سلطان وللشرك صولجان ، فقد ماتت
سمية والمدة عمار في العذاب على يد أبي جهل ، فكانت أول شهداء الإسلام .
ولقد مر النبي صلى الله عليه وسلم على أسرة عمار وهم يعذبون في الله من أجل إيمانهم
فقال : « صبرا آل ياسر فإن موعدكم الجنة ، .

ولقد امتاز عمار بنشاط ملحوظ مادي ومعنوي ، فلقد كان جريئاً في إسلامه شجاعاً في الدفاع عن عقيدته ، مضحياً من أجلها بروحه ودمه ، فقد حدث عن إسلامه فقال : لقيت « صهيب بن سنان على باب دار الأرقم ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم فيها فقلت ما تريد ؟ قال : وما تريد أنت ، قلت أريد أن أدخل فأسمع كلام محمد فقال : وأنا أريد ذلك ، فدخلنا عليه فعرض علينا الإسلام فأسلمنا ، وكذلك أسلم والده وأمه وأخيه عبد الله بن ياسر .

ولما سطع نور الإسلام بالمدينة وأصبحت هي القلعة المنيعه ، والحصن المكين للإسلام ، عزم عمار على المساهمة في اعلاء كلمة الإسلام ، وتمكين دعائه بيشرب : فاستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة إلى المدينة فأذن له . وكان عمار أول من بنى مسجداً في الإسلام بناه في المدينة وسماه قباء .

ولم يكن عمار من الخاملين أو الكسالى الذين يهابون الحرب ، وبرهبون الوغى فقد شهد بدراً وأحداً والخندق وبيعة الرضوان ، وبجانب هذه الشجاعة والروح الحربية ، والقوة المعنوية التي امتاز بها عمار كان معروفًا بسداد الرأي ، وسعة الحيلة ، والخبرة بالشئون العامة ، فقد ولاه الخليفة الثاني عمر بن الخطاب ، أمر الكوفة فكتب بذلك إلى أهلها يقول : « أما بعد فقد بعثت إليكم عماراً أميراً ، وابن مسعود معلماً ووزيراً ، وهما من نجباء أصحاب محمد فاقتدوا بهما . »

فهذه شهادة من عمر الذي كان يعرف أقدار الرجال ، ويعرف كيف ينتخب ولاته وكيف ينقب عن صفات الرجال الذين يصلحون لتدبير الأعمال ، ويمتازون بالخبرة والنزاهة في سيرتهم ويؤدون للرعية ما لها .

ولقد كان عمار يعرف منزلة الكرامة ومكانتها في دين الرجل ، فما كان يرضى الدنيا ولا يقبل الضيم ولا يرضى الذلة ، فقد خاصمه خالد بن الوليد يوماً فأغظ له فانطلق عمار إلى الرسول يشكو ، فجاء خالد وعمار يشكو فجعل يغظ له أيضاً ، والنبي صلى الله عليه وسلم ساكت فقال : عمار يا رسول الله ألا تراه كيف يفعل ؟ فرفع رسول الله رأسه وقال : من عادى عماراً عاداه الله ، ومن أبغض عماراً

أبغضه الله ، قال خالد : فخرجت فما كان أحب إلى بعد من رضا عمار فلقبته فاسترضيته فرضى .

والناحية الهامة في التشريع التي امتاز بها عمار أنه كان مفتياً في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، فقد كان خبيراً بالأحكام وعلمها ، غواصاً على المعاني والبواطن والحكم والتي شرعت من أجلها الأحكام ، فقد كان يسهل عليه الجواب حين يفاجأ بالسؤال فكان الاستفتاء لا يذهله ولا يدهشه ، كما يحدث لمن قصرت مداركهم فلا يحسنون الانتفاع بما يحفظون ، ولا يستطيعون استنباطاً طامعاً يروون . ولقد جمع إلى هذا الفكر المستنير والرأي الصائب والفهم الحاذق إحاطة لعدد وفير من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ فقد روى له في الصحيحين اثنان وستون حديثاً .

وقد كان ثباتاً ثقة في خلقه ودينه ، وأخذ عن الرسول صلى الله عليه وسلم فقد روى عنه علي بن أبي طالب ، وابن عباس ، وأبو موسى الأشعري ، وجابر ابن عبد الله ، وعدد وفير من الصحابة ، كما روى عنه من التابعين ابنه محمد وسعيد ابن المسيب ومحمد بن الحنفية وغيرهم .

ولقد تحققت عند موته نبوءة الرسول صلى الله عليه وسلم التي سبق أن أشرنا إليها ، فقد كان عمار في جيش علي ، فقتله أصحاب معاوية في واقعة صفين التي حدثت بينهم وبين أصحاب علي رضي الله عنه سنة سبع وثلاثين من الهجرة ، وعمره أربع وتسعون سنة ، ولما بلغ مقتله عمرو بن العاص قال : والله لو ددت أن أكون ميت قبل هذا اليوم بعشرين سنة ، ودفته علي بن أبي طالب ولم يكفنه ، ولم يغسله ، لأنه شهيد .

فرحم الله عماراً فقد كان سباقاً إلى الإسلام ، سباقاً إلى الجهاد ، سباقاً إلى الحق ، مضحياً في سبيل عقيدته ومبدئه بروحه ودمه ، وجعل الله لنا فيه القدوة الحسنة .

صَفَايَا الرُّسَاةِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ

لفضيلة الاستاذ الجليل الشيخ عبد المتعال الصعیدی
الاستاذ بكلية اللغة العربية

كان للرؤساء في الجاهلية صفايا جمعها عبد الله بن غنم الضبي في قوله يخاطب
بسطام بن قيس من رؤساء القبائل :

لك المربعُ منها والصفايا وحكمك والنشيطه والفضول

فكان كل رئيس إذا حارب هو وقومه يختص لنفسه من الغنيمة بهذه
الامور، ينفقها على نفسه، ويحبس بعضها لما قد يطرأ على القبيلة، أو يتحمل من
التفقات، والمربع ربع الغنيمة، وقد قيل في ذلك مربع كما قيل في العشر
معشار ولم يسمع في غيرهما، والصفايا جمع صفية أو صفية، وهو ما كان يختاره
الرئيس من المغنم لنفسه قبل القسمة من فرس أو سيف أو غيرهما، والنشيطه
ما يغنمه المحاربون في الطريق قبل الموضع الذي قصدوه بالغزو، وقيل : هو
ما انتشط من الغنائم ولم يوجفوا عليه بخيل ولا ركاب، والفضول : هو ما يبقى
من الغنائم بعد القسمة مما لا يصح قسمته على عدد المحاربين، وقيل هو ما أعجز
أن يقسم لثقلته، وكان الرئيس يملك كل ما يأخذه من هذا ملكا خالصا، فينفق
منه على نفسه كيف شاء، ويورث عنه بعد موته كما يورث سائر الملك.

فلما جاء الإسلام أبطل من ذلك ثلاثة وأبقى واحدا، فأبطل المربع
والنشيطه والفضول، وأبقى الصفايا، ومما جاء في إبطال المربع قول النبي
صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم قبل إسلامه : وإني لك لتأكل المربع، وهو لا يحل
لك في دينك، . وكان عدي يدين بالصرانية، والمربع من عوائد الجاهلية، وإنما
أبطل الإسلام المربع والنشيطه والفضول؛ لأنها كانت حقا مقرررا يأخذه الرئيس
من كل ما يغنم، ويمتاز به على قومه دائما، لأنه حق لا ينازع فيه، وليس

موكولا إلى اختياره ، أما الصفايا فكانت حقا اختياريا ، إن شاء الرئيس أخذه لنفسه ، وإن شاء تركه لقومه ، والإسلام أعدل من أن يجعل من هذه العادات الظالمة حقا مقررًا للرؤساء ، يأخذونه من كل مغنم ، ويختصون به لنفوسهم دائما ، وهو حق كثير جدا عليهم ، ولا يصح أن يستأثروا به دون قومهم .

ولما كانت الصفايا ليست حقا مقررًا فقد أبقاها الإسلام ، لأنه يمكن إخضاعها لحكم الظروف والأحوال ، وكثيرا ما توجد ظروف وأحوال تقضى بإيثار الرئيس بشيء من المغنم ، ولا يكون لإثاره به خروجاً على ما يقتضى به العدل ، لأنه يكون حسبا لخلاف بين المحاربين على شيء من الغنيمة ، لنفاسته أو لنحو ذلك مما يكون سببا في إثارة المطامع وتطلع العيون ، فإذا أخذه الرئيس لنفسه حصل الرضا ، وقضى على سبب الخلاف ، وقد اصطفى النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر سيف منه بن الحجاج ، وفي يوم المريسيع جويرة بنت الحارث سيد بني المصطلق ثم أعتقها وتزوجها ، فقال المسلمون : أصهار رسول الله لا يصح أسرهم ، فنوا عليهم بالعتيق ، وكان هذا سببا في إسلامهم ، فكانت جويرة أمة امرأة على قومها ، وكذلك اصطفى لنفسه صفية بنت حيي سيد بني النضير من اليهود في غزوة خيبر ، وكان دحية بن خليفة الكلبي قد طلب منه أن يعطيه جارية من السبي ، فقال له : اذهب نخذ جارية . فذهب فأخذ صفية .

فجاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له : يا رسول الله ، أعطيت دحية صفية بنت حيي سيدة قريظة والنضير — وكانت أمها من بني قريظة — ما تصلح إلا لك . وهنا وجد النبي صلى الله عليه وسلم أن دحية لم يأخذ جارية من حشو السبي ، بل اختار أشرف نسائه نسبا ، وكانت صفية إلى هذا ذات جمال عظيم ، فإنها كانت من أبهى ما يكون من النساء ، فلا ترضى نفسها بدحية ، وقد استكثرها عليه ذلك الرجل وغيره ، ومثل هذا يؤدي إلى خلاف بينهم ، ولو أنه أخذها منه وأعطاهم غيره من كبار الصحابة ، لكان هذا له أثر شديد في نفسه ، فلم ير إلا أن يأخذها صلى الله عليه وسلم زوجاً له ، فأعتقها وتزوجها ، وقال لدحية : خذ جارية من السبي غيرها . لأنه إنما أذن له في جارية من حشو السبي لا من أفضلين ، فلما رآه أخذ أنفسم نسبا وشرفا ، وجمالا استرجعها ، لئلا يتميز بها على سائر الجيش

مع أن فيهم من هو أفضل منه ، وهذا إلى ما فيه من انتهاكها ، مع علو قدرها ، وربما ترتب عليه شقاق بينهما ، ففسد عشرتهما ، ولا يكون فيها ما يجب في عشرة الزوجين من مودة وإخلاص ، ولو تتبعنا غير هذا من صفايا النبي صلى الله عليه وسلم لوجدناه يقوم على مثل تلك المصالح العامة ، ولا يدخل فيه شيء من مصالحه الخاصة ، كما كان شأن صفايا الرؤساء في الجاهلية .

وقد مات النبي صلى الله عليه وسلم وليس له إلا صفايا ثلاث : بنو النضير ، وخيبر ، وقَدَّك . فأما بنو النضير فهم صدقته بالمدينة ، وكانت نخلا لبني النضير أفاءها الله عليه من غير خيل ولا ركاب ، وأعطى أكثرها للمهاجرين ، بدلا من أموالهم التي أخذها منهم أهل مكة حين هاجروا منها إلى المدينة ، وما بقي منها حبسه لنوابه ، ولم تكن نوابه إلا نواب المسلمين في حربهم وسلمهم ، وغير هذا من نوابهم .

وأما خيبر فإنه كان قد قسمها قسمين : نصفها للمسلمين ، ونصفها لنوابه وحاجته ، فكان يأخذ منه نفقة أهله ، وما فضل ينفقه على فقراء المسلمين ، وفي مشترى السلاح والكراع ، وكان ما يأخذه لنفقة أهله يتقدر بسنة ، وإذا أخذه لا يأخذ شيئا بعده ، وكان لا يكفيه إلى آخر السنة ، فكان يقترض ما يـد به حاجة أهله ، ولهذا مات ودرعه مرمونة عند يهودى .

وأما فدك - وهي قرية على ثلاث مراحل من المدينة - فكانت للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة ، لأنه لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب كبنى النضير ، فكان ينفق منها ويأكل هلى قدر حاجته ، وقد سبق أن ما كان يأخذه لا يفي بها إلى آخر السنة ، وكان يموذ منها أيضا على فقراء بنى هاشم ، ويزوج أيتهم ، وينفق على أبناء السبيل ونحوهم .

وقد اختلف أبو بكر وفاطمة رضى الله عنهما في أمر هذه الصفايا ، فروى أن فاطمة أتته فتمالت له : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل لى فدك ، فأعطنى إياها . فطلب منها البينة على هذا ، فشهد لها زوجها على رضى الله عنه ، فسألها شاهدا آخر ، فشهدت لها أم أيمن ، فقال لها : قد علمت يا بنت رسول الله أنه لا يجوز إلا شهادة رجلين أو رجل وامرأتين ، ولم يحكم لها بما طلبت .

وروى أيضا أنها جاءت فقالت له : أعطني فَنَدَكَ ، فقد جعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم لى . فسألها البينة ، فجاءت بأم أيمن ورباح مولى النبي صلى الله عليه وسلم ، فشهدا لها بذلك ، فقال لها : إن هذا الأمر لا تجوز فيه إلا شهادة رجل وامرأتين .

وروى أيضا أن فاطمة أتت النبي صلى الله عليه وسلم تسأله فَنَدَكَ ، فقال لها : ما كان لك أن تسألني ، وما كان لى أن أعطيك . وهذه الرواية تناقض الروایتين السابقتين .

وهناك روايات أخرى فى ذلك تفيد أن فاطمة طلبت ذلك من أبى بكر لانه إرثها من النبي صلى الله عليه وسلم ، فلم يطالبها أبو بكر بشهود عاينه ، لأن حق الإرث لا يحتاج إلى شهود ، وإنما نازعها فى ذلك الإرث ، فقالت له : من يرثك إذا مت ؟ فقال : ولدى وأهلى . فقالت : فما بالك ورثت رسول الله صلى الله عليه وسلم دوننا ؟ فقال : والله يا بنت رسول الله ما ورثت أباك ذهبا ولا فضة ، ولا كذا ولا كذا . فقالت : سهمنا بخير ، وصدقتنا فذلك . فقال : يا بنت رسول الله ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إنما هى طعمة أطعمتها الله حياتى ، فإذا مت فهمى بين المسلمين .

وقيل إن فاطمة والعباس أتيا أبا بكر يلتمسان ميراثهما من النبي صلى الله عليه وسلم فى فَنَدَكَ وخير ، فقال لهما : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا نورث ، ما تركناه صدقة ، وإنما يأكل آل محمد من هذا المال . ثم قال : والله لا أدع أمرا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنعه فيه إلا صنعته .

وقيل إن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أرسان عثمان بن عفان إلى أبى بكر يسألنه موارثتهن من سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير وفَنَدَكَ ، فقالت لهن عائشة : أما تتقين الله ، أما سمعتن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا نورث ، ما تركناه صدقة ، إنما هذا المال لآل محمد ، لنا بشهم وضيعهم ، فإذا مت فهو إلى والى الأمر بمدى .

وقد جاء بعد هذا فقهاء أهل السنة والشيعة فاختلفوا فى إرث النبي مطلقا ، فذهب أهل السنة إلى أنه لا يورث . وذهب الشيعة إلى أنه يورث ، ولم يقيدوا

الخلاف بأمر هذه الصفايا التي قام الخلاف فيها بين أبي بكر وفاطمة ؛ ومن يطالع هذه الروايات السابقة يجد فيها ما يفيد قصر الخلاف في إرث النبي صلى الله عليه وسلم على هذه الصفايا ، وأن أبا بكر كان يرى أنها لم تدخل في ملك النبي صلى الله عليه وسلم -حق تورث عنه- ، وإنما كان له حق الفقة منها في حياته على الوجه السابق ، ولا شك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان له ما يملكه غير هذه الصفايا من منقول ونحوه وإن كان قليلا ، وهذا لم يرد فيه نزاع بين أبي بكر وفاطمة ، لأنه لا يصح النزاع في إرثه ، والحق أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن له على هذه الصفايا إلا -حق الولاية- ، فتسكون ولايتها لمن يلي أمر المسلمين بعده .



قالت الحكماء : الكرام في الثمائم كالنخلة في الفرس . قال السموءل :

تعرنا أنا قليل عديدنا فقلت لها إن الكرام قليل
وما ضرنا أنا قليل وجارنا عزيز وجار الأكثرين ذليل
وقال أبو تمام :

ولقد يكون ولا كريم تناله حتى تفوض إليه ألف لثيم
وقال ابن أبي حازم :

وقالوا مدحت فتى كريما فقلت وكيف لي بفتى كريم
بلوت ومر بي خمسون حولا وحسبك بالمجرب من عليم
فلا أحد يعد ليوم طول ولا أحد يمود على هديم
وقال دعلج :

ما أكثر الناس لا بل ما أقلهم والله يعلم أني لم أقل فتدا
إني لأغلق هيني ثم أفتحها على كثير ولكن ما أرى أحدا

على نزائـب طـالك

لفضيلة الاستاذ الجليل الشيخ محمود النواوى
وكيل معهد أسبوط

بلاغته :

قال الاستاذ الاديب محمد المرصفي شارح نهج البلاغة ، وهو يتحدث عن اللغة العربية في مقدمة شرحه : « وبين هذه وتلك منزلة هي عليا منازل الكلام فيما نعلم ، وأشرفها مكانا وأجلها خطراً ، أقام فيها صدر الإسلام وشطرا من خلافة بنى أمية ، جمعوا فيها بين جمال الحضارة الجديدة وجلال البداوة القديمة ، وبشاشة القرآن الكريم . بهذه الخصال الثلاث امتاز الخلفاء الراشدون ومن تأثرهم ، كزياد والحجاج وقطرى بن العجامة . وقد كان المجلى في هذه الخلقة على صلوات الله عليه . وما أحسبى أحتاج في إثبات هذا إلى دليل أكثر من نهج البلاغة ، ذلك الكتاب الذى أقامه الله حجة واضحة على أن عليا قد كان أحسن مثال حي لنور القرآن وحكمته ، وعليه وهدايته ، وإعجازه ونصاحته .

اجتمع لعلى في هذا الكتاب ما لم يجتمع لكبار الحكماء وأفذاذ الفلاسفة ونوابغ الربانيين : من آيات الحكمة السامية ، وقواعد السياسة المستقيمة ومن كل موعظة باهرة وحجة بالغة تشهد له بالفضل وحسن الأثر .

خاض على في هذا الكتاب لجة العلم والسياسة والدين ، فكان في كل هذه المسائل نابغة مبرزاً . ولئن سألت عن مكان كتابه من الادب بعد أن عرفت مكانه من العلم ، فليس في وسع الكاتب المراسل ، والخطيب المتصنع ، والشاعر المفلق أن يبلغ الغاية من وصفه ، أو النهاية من تقريره .

وحسبنا أن نقول : إنه الملتقى الفذ الذى التقى فيه جمال الحضارة وجزالة البداوة ، والمنزل المفرد الذى اختارته الحقيقة لنفسها منزلاً تطمئن فيه ، وتأوى إليه بعد أن زلت بها المنازل في كل لغة ، وسأحاول أن أحمل بعض عوامل هذه

العبقرية العلوية في بعض نواحيها بما يشوق إلى مطالعها ، حتى لا نهمل تلك الكنوز الثمينة التي عرفها رواد الأدب الرفيع وطلاب الأسلوب السامي .

ولا غرو ، فقد كان على في الصميم من هائم من ملوكوا زمام الفصاحة في العرب ، واستبدوا بمزايا الأدب .

وقد نشأ على في بيت النبوة حيث تتلى آيات الله والحكمة ، فيحظى بالنصيب الأولي من فيوضات الإسلام ، التي هي المادة الخصيصة لكل أديب ، ثم سعد بعد ذلك بغصن النبوة فاطمة الزهراء تزيده أدباً إلى أدبه ، وتمده ببعض ما أخذت عن أبيها من درنه ، وقد حفظ على القرآن كله وقل أن يجتمع ذلك لغيره ، فوقف على أسرارها واختلط به لحمه ودمه . والقارىء يرى ذلك في نهج البلاغة ويلس فيه مقدار استفادة على من بيانه وحكمته . وناعيك بالقرآن مؤدباً ومهذباً ، يستنطق البكم الأبكم فيفتق لسانه بالبيان الساحر والفصاحة الغالية ، فكيف إذا كان مثل على في خصوبته وعبقريته . واستعداده من صفات نفوسهم وأعرضوا عن الدنيا وأخلصوا للدين ، فجرت ينابيع الحكمة من قلوبهم على ألسنتهم متدفقة كالحيطات ، تجري بالسلس العذب من الكلمات ؟

وهل كان الحسن البصري في زواجر وعظه ، وبالغ منطقته إلا أثراً من على وقطرة عن محيط أدبه ، ففتن الناس بعبارة وخلق ألباهم بحمله ، فكيف يكون الأستاذ العظيم والإمام الحكيم على بن أبي طالب ؟

لقد كان الإمام على في خطبه المتدفقة يمثل بجرأ خضيا من العلماء الربانيين ، وأسلوباً جديداً لم يكن إلا لسيد المرسلين ، وطرق بحوثاً من التوحيد لم تكن تخضع في الخطابة إلا لمثله ، فهي فلسفة سامية لم يعرفها الناس قبله ، فدانت لبيانه وسلمت في منطقته وأدبه .

وخاض في أسرار الكون وطبائع الناس وتشریح النفوس ، وبيان خصائصها وأصنافها ، وعرض لمداخل الشيطان ومخارجه وفتن الدنيا وآفاتنا ، وتكلم في الموت وأحواله ، وفي بدء الخلق ووصف الأرض وفي شأن السماء وما يمرج فيها من أملاك وما يحف بها من أفلاك ؛ كما عرض لملك الموت ووصفه وأطال في وصفه .

وخطب على في السياسة وفي شئون البيعة والمهد والوفاء واختيار اللاحق ،
وما أحاط بذلك من ظروف وصروف كتحكيم صفين ، وما تبعه من آثار سيئة
وتفريق في الكلمة .

ولم يفته أن ينوه في خطبه بأنصار الحق وأعوان الخير ، والدعوة إلى الجهاد ،
وفيها حاجة للخوارج ونصح لم ولا مثالمه باتباع الحق ، وغير ذلك مما يكفي فيه
ضرب المثل ولفت النظر .

غير أن ناحية عجيبة غريبة امتاز بها الإمام ، هي مما اختص به القديسون من
الأنبياء ، ومن على شاكلهم كانت تظهر في بعض تجلياته ، وأشار إليها في بعض
مقاماته ولم يسلك فيها سواء إلا أن يكون رسوله الله .

فقد ذكر كثيراً من مستقبل الامة ، وأورد ما يكون لبعض أحزابها
كالخوارج وغيرهم ، ومن ذلك وصفه لصاحب الزنج وذكر الكثير من أحواله .
وذلك من غير شك لون من الكرامات ، وقد قال له بعض أصحابه إذ ذاك :
لقد أوتيت يا أمير المؤمنين علم الغيب . فضحك وقال للرجل وكان كليباً :

« يا أخا كلب ، ليس هو بعلم غيب ، وإنما هو تعلم من ذي علم ، إنما
علم الغيب علم الساعة وما عيّد الله بقوله « أن الله عنده علم الساعة . . . الآية » ،
فعلم الله سبحانه وتعالى ما في الأرحام من ذكر أو أنثى ، وقبيح أو جميل وسخى
أو بخيل وشقى أو سعيد ومن يكون في النار خطباً ، أو في الجنان للذين مرافقاً ،
فهذا علم الغيب الذي لا يعلمه أحد إلا الله ، وما سوى ذلك فعلم علمه الله نبيه فعلمه الله ،
ودعالي بأن يعيه صدرى وتضطم عليه جوانحي . »

هذا إلى أنه طرق نواحي من القول ، كانت من خواص الشعر إذ ذاك ،
ولكنه ضمنها خطبة ؛ فوصف الطب وعرض للخفاش وما فيه من عجائب ،
والطاووس وما يحويه من أسرار ، وما في الإنسان من عجائب الخلق وآيات المبدع
الحق ، وأحيلك في ذلك كله على نهج البلاغة ، ولكنني أتعجل لك جملاً من قوله
في الخفاش وهو يذكر بالله سبحانه . من لطائف صفته وعجائب حكمته ما أرانا
من غوامض الحكمة في هذه الخفافيش ، التي يقبضها الضياء الباسط لكل شيء ،
ويبسطها الظلام القابض لكل شيء ، وكيف عشت أعينها عن أن تستمد من

الشمس المضيئة نوراً تهدي به في مظاهرها ؟ وتصل بملاية برهان الشمس إلى معارفها ، ردعها تلالؤ ضيائها عن المضى في سبجات إشراقها ، وأكنها في مكافئها عن الذهاب في بلج انثلاقها ، فهي مسدلة الجفون بالنهار على أحداقها ، وجاعلة الليل سراجاً تستدل به في التماس أرزاقها ، فسبحان من جعل لها الليل نهاراً ومعاشاً والنهار مسكناً وقراراً .

ووصف الطاوس وهو يتحدث عن الطير . فقال :

« ومن أعجبها خلقاً الطاوس الذي أقامه الله في أحكم تعديل ، ونضد أصنافه في أحسن تنضيد : بجناح أشرع قصبه ، وذنب أطال مسجبه وإذا درج إلى الأثى نشره من طيه . وما به مطلا على رأسه . إلى أن يقول : يفضى كإفضاء الديكة ، أو يؤر بملاقحه أر الفحول المقتلة في الضراب : فإن شبهته بما أنبتت الأرض قلت « جنى جنى من زهره كل ربيع ، وأن ضاهيته بالملابس فهو كوشى الحلى ، أو مرنق عصب الين ، وأن شاكلته بالحلى فهو كحفصوص ذات ألوان قد نطقت باللجين المسكل . . . »

وهكذا تجد في أدب على الدين والسياسة والأدب ، والحكمة والوصف المعجب ، والبيان الزاخر .

هذا كتاب إلى شريح القاضي يمظه ، وقد اشترى داراً ويحذره أن تكون من مال المسلمين في معان عجيبة وأسلوب خلاب .

وهذا إلى معاوية يجادله في الاحق بالخلافة ، وقتله عثمان في معان لا يحسنها سواه ، وتلك كتب إلى العاملين على الصدقات ، يعلمهم فيها واجباتهم في جميع ملابساتهم .

وذلك عهد إلى محمد بن أبي بكر حين قلده مصر ، وتلك وصيته إلى الحسن عند منصرفه من صفين ، لم يدع فيها معنى تتطلبه الحياة لمنله إلا وجهه فيه أسمى توجيه ، في فلسفة خصيية ، وحكم رائعة مفيدة ، وكل تلك النواحي والأغراض في معان سامية مبسطة ، يعلو بها العلم الرباني النزير ، والروح السامية الرفيعة وتدنو بها تلك القوة الجبارة على امتلاك أزمة القول ، كأنما نثر كثراته بين يديه فوضع لكل معنى لفظه في أدق استعمال .

ولم لك لم تنفس ما قدمت لك من وصف الحفاش وتفصيل أجزاء الطاووس .
 فاسمع هذه أيضاً ولم أنعمد في نقلها اليك اختياراً ولا تعمقاً : قام إليه رجل
 من أصحابه فقال : نهيتنا عن الحكومة ثم أمرتنا بها فما ندرى أى الأمرين أرشد ؟
 فمفق لإحدى يديه على الأخرى ثم قال : « هذا جزء من ترك العقدة ،
 أما والله لو أنى حين أمرتكم بما أمرتكم به ، حملتكم على المكروه الذى يجعل الله فيه
 خيراً ، فإن استقمتم هديتكم وإن اعوججتم قومتكم ، وإن أبيتم تداركتكم لكانت
 الوثقى . ولكن بمن وإلى من ؟ أريد أن أداوى بكم وأنتم دأى كنافس الشوكة
 بالشوكة وهو يعلم أن ضلعا معها . اللهم قد ملئت أطباء هذا الداء الدوى ، وكلت
 للزعة بأشطان الركى . أين القوم الذين دعوا إلى الإسلام فقبلوه ، وقرءوا القرآن
 فأحكروه ، وهيجوا إلى اللقاء فوطئوا وله اللقاح إلى أولادها ، وسلبوا السيوف
 أغمادها ، وأخذوا بأطراف الأرض زحفا ، وصفاصفا بعضه هلك وبعضه نجا ،
 لا يبشرون بالأحياء ولا يعززون عن الموتى ، قرح العيون من البكاء ، خص البطلون
 من الصيام ، ذبل الشفاء من الدعام ، صفّر الألوان من السهر ، على وجوههم عبرة
 الخاشعين ، أولئك أصحابي الذاهبون . فانظر إلى قوة الحجة والإلجام إلى الحجة ،
 وغرابة التشابه وروعة الاستعارات ، وسعوط التصوير والسماع المعاني وتأخذها .
 ولقد يهنيق في القول فأقف حائراً عاجزاً عن شرح ما يحول بنفسى من تقدير تلك
 المعاني السامية ، فيسعدني تصوير الأستاذ الإمام له وهو يقدم نهج البلاغة حين يقول :
 فكان يخيل إلى في كل مقام أن حروباً شبت ، وغارات شفت وإن للبلاغة
 دولة : وللصاحبة صولة ، وإن للأوهام عرامة ، وللريب دعارة ، وإن جعافل
 الخطابة وكتائب الذرابة في هفود النظام ، وصفوف الانتظام ، تنافع بالصفيح
 الأبلج ، والقويم الأملج ، وتمتلك المهج بروائع الحجج ، تنقل من دعارة الوسوس
 وتصيب مقاتل الخوائس ، فما أما إلا والحق منتصر والباطل منكسر ، ومرج
 الشك في جود ، وهرج الريب في ركود ، وإن مدبر تلك الدولة ، وباسل تلك
 الصولة ، هو أمير المؤمنين الغالب على بن أبى طالب
 أما الأسلوب فيتجلى لك ما يأتى .

(١) الثروة من الالفاظ المعربة في مفرداتها وجمعها ، ومذكرها ومؤنثها
 وحقيقتها ومجازها .

(٢) المجازات والكنائيات في ممرض أنيق وقالب بديع .

(٣) الإيجاز الدقيق مع الاطناب في مقامه ، ويظهر ذلك في فقره وسجعاته الفريدة التي يجعل بكل أديب أن يحفظ الكثير منها ليكون بيانه التكوين العربي السليم .

(٤) المحسنات البديعية في نمط ممتاز من جناس إلى طباق وترصيع وإلى قلب وعكس ، تزدان بجمالها البلاغة ويكمل بها حسن الموقع .

(٥) الجرس والموسيقى وجمال الإيقاع مما يدركه أهل الذوق الفنى .

وبحسب قبل الختام أن أشير إلى ما نوه به صاحب الطراز الإمام يحيى البنى ، فقد تكرر ذلك في عدة مناسبات ، وأولها تمثيلة للبلاغة في أول كتابه قال وهو في ذلك العدد : فن معنى كلامه ارتوى كل مصقع خطيب ، وعلى منواله نسج كل واعظ بليغ : إذ كان عليه السلام مشرع الفصاحة وموردها ، ومحط البلاغة ومولدها ، وهيب مزنها الساكب ومتفجر ودقها الهاطل . وعن هذا قال أمير المؤمنين في بعض كلامه : « نحن أسراء الكلام وفينا تشبثت عروقه ، وعلينا تهدلت أغصانه ، ثم أورد مثالا من أول خطبة في نهج البلاغة وقال : العجب من علماء البيان والجمامير من حذاق المعاني ، كيف أعرضوا عن كلامه مع علمهم بأنه الغاية التي لا مرتبة فوقها ، ومتهى كل مطلب ، وغاية كل مقصد في جميع ما يطلبونه من المجازات والتثيل والكنائية ، وقد أثر عن فارس البلاغة وأمير البيان الجاحظ أنه قال : ما قرع سمى كلام بعد كلام الله وكلام رسوله إلا عارضته إلا كلمات لأمر المؤمنين كرم الله وجهه ، فاقدرت على ممارضته وهى مثل قوله : « ما هلك امرؤ هرف قدره ، ، استغن عن شئت تكن نظيره ، وأحسن إلى من شئت تكن أميره ، واحتج إلى من شئت تكن أسيره ، .

وبعد فقد خرج هذا الأدب السامى العلوى ، والبيان العبقري المطلبى نوابغ هذه الأمة في القديم والحديث ، من أمثال ابن عباس والحسن البصرى ، ثم زياد والحجاج وقطرى ثم عبد الحميد الكاتب وابن المتففع .

ثم الأستاذ الإمام محمد عبده ، والزعيم سعد زغلول والهاياوى ، وغيرهم من قادة الفكر والهداة في كل عصر ، فهل من يسلك نهجهم في انتهافت على ذلك التراث الثمين والسكنز الدفين ؛ إن يكن الخير للغة فعسى أن يكون ذلك قريبا .

جزاءٌ وجزاءٌ

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمد عبد التواب
مفتش الوعظ بالأزهر

يقول الله عز جلاله في كتابه الحكيم :

« والله ما في السموات وما في الأرض ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ، ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى ، الذين يخشون ربهم العظيمين ، الذين كفروا ، إن ربك واسع المغفرة ، هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض ، وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم ، فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى ، . »

تنطق هذه الآية الكريمة بوصفين ، وترتب جزاءين ، تنطق بوصف قوم بأنهم أساءوا ، وترتب على الاساءة جزاءها ، وتنطق بوصف قوم بأنهم أحسنوا ، وترتب على الإحسان جزاءه .

والمحسنون ، والمسيئون مملوكون لله خالقهم والله مالكم ، والله مالك ما في السموات وما في الأرض جميعا ، ومن حقه عز شأنه ، بعد أن منح الناس نعمة الوجود ، وجعلهم بأحسن تقويم وأبدع تصوير ، وألبسهم من سابغ فضله ، وحباهم بكريم عطفه ، من حقه أن يطلب إليهم شكر نعمته ، والتزام طاعته ، وجمال تقواه ، لا لحاجته - سبحانه - فهو الواحد الصمد ، العزيز بسلطانه ، العظيم بجلاله وقدرته ، الغنى بملكه ، ولكن الناس هم المفتقرون ، في طاعتهم غناهم ، وفي شكرهم عزهم ، وفي استجابتهم سعادتهم . . . ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه إن الله لغنى عن العالمين .

فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا ، وأما من تجاوز حدود الله واستكبر على طاعة الله ، وشمخ بأنفه صلفا وعتوا ، وأما من عاث في الأرض الفساد ، وضع حقوق العباد ، واستلهم وحى الشيطان ، فأنتم سعيه وساء عمله ، فإن جزاء هؤلاء جميعا ، ذلة تدك من عتوهم ، وغضب يزلزل من مقامهم ، وظلمة تحيط بهم في دنياهم ، وتعتثر يكبو بهم في مسعاهم ولعذاب الآخرة أشد وأبقى ، قال تعالى : **وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جِزَاءٌ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا ، وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ، كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قُطْعًا مِنَ اللَّيْلِ مَظْلُمًا** أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون .

ألا هل يبلغ أصحاب الاموال ، الذين أساءوا في حبس زكاتها عن الفقراء ، وأساءوا في حبس استثمارها لصالح الوطن ، وأساءوا في منع النفقة المشروعة حتى عن الأهل والعشيرة ، أن جزاءهم حبس رحمة الله عنهم ، وأن جزاءهم لعنة الوطن الذين أعزهم فأذلوه ، وأسعدهم فأشقوه ، وأن جزاءهم بغض الأهل والعشيرة ، الذين تشكروا لهم ، وتبرموا بهم ، ثم بعد ذلك كله حبس الله في نار جهنم حتى تمنحى كدورتهم ويزول خبثهم . **وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَبِشْرَمٍ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ، يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كُنْتُمْ لَا نَفْسَكُمْ فذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ .**

ألا هل من يبلغ أصحاب الجاه والمناصب ، الذين تصلفت أعتاقهم ، وتجهمت أساريهم ، ولوحوا بالشر ، ونكصوا عن الخير ، أنهم أساءوا إلى نعمة الله حين أشاحوا بجاههم عن حاجات المحتاجين ، ورغبات المستضعفين ، وحين استمروا في مناصبهم لذة الأمر والنهي لا لمصلحة ، ولا في محمدة ، هل يعلم هؤلاء أنهم أساءوا إلى جباههم ، وأساءوا إلى مناصبهم ، وأساءوا إلى نفوسهم ؟ .

ثم أساءوا إلى هذه الآمال المرجوة العادلة فكبتوها وضيعوها ، ورزأوا أصحابها ، ألا وإن جزاء هؤلاء وأولئك كراهية الله والناس ، وفي كراهية الله العذاب ، وفي كراهية الناس المقت والازدراء ...

أما أن يهزى الله المحسنين بالحسنى ، ويواتهم بالخير والمثوبة ، فى الأولى والآخرة ، فذلك جمال الإحسان فى الإحسان ، وذلك وعد الله الذى لا يتخلف وبره الذى يشمل الأبرار الأخيار ، يتمتع فى الدنيا بنعمه الرضا ، والقناعة . والاطمئنان ، وحب الله ، وحب الناس ، ولا والله لا يطاول شئ فى الدنيا هذه المتعة ، ولا يهفو قلب الى أبعد من هذه الغاية .

أما فى الآخرة فروضة المحبين ، وجنة المتقين وسعادة الخالدين ، وصدق الله العظيم ، من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حياة طيبة ، ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون .

وليس شئ أدل على فضل الله من رحمته ومغفرته لأولئك الذين يحتنبون كبائر الإثم والفواحش وهى الذنوب التى خشت وخبت ، إذا ألم هؤلاء بشئ من صفات الذنوب فإن ربك يتجاوز عنها فضلا ورحمة ، إن ربك واسع المغفرة ، هو أعلم بكم من يوم أنشأكم بنشأة أديكم آدم من الأرض ، وهو أعلم بكم فى الخفاء المستور وأنتم أجنة فى بطون أمهاتكم ، فلا تزكوا أنفسكم إدعاء ولا رياء ؛ بل زكوها طهارة وكرامة وصفاء ؛ فإنه سبحانه أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمعتفين .

كتب رجل إلى أبى العتاهيه رحمه الله يقول :

يا أبا إسحاق إني واثق منك بورك
فأعنى بأبى أنت على عيى برشدك

فاجابه أبى العتاهيه بقوله :

أطع الله بجهدك راغبا أو دون جهدك
أعط مولاك الذى تطلب من طاعة عبدك

سؤال الناس

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ إبراهيم على أبو الخشب
المدرس بكلية الشريعة

بمعنى الدين الإسلامى فى تربيته الأفراد والجماعات عناية تامة بتقوية روح
العزة والكرامة ، والإباء والشمم ، والتعالى والسمو ، بحيث يتحقق فيهم ذلك
المعنى الذى تقصد اليه الآية ، ولقد ذكرنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ، ورزقناهم
من الطيبات ، وفضلناهم على كثير من خلقنا تفضيلاً .

وإذا كانت التكاليف التى تعيبدنا سبحانه وتعالى بها ، تنهى بالإنسان
إلى أن يكون عبداً لله وحده لا شريك له ، يختصه بالخضوع والتواضع ،
والانكسار والذلة ، والابتهال والزلى ، والرجاء والخوف ، وعلى قدر ما يكون
الإخلاص فى ذلك كله تقوى أسرته بربه ، وتزيد علاقته بمولاه ، حتى لكانه
سمعه الذى به يسمع ، وبصره الذى به يبصر ، وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب
أجيب دعوة الداعى إذا دعانى فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون ،
فإنها - كذلك - توجه الفرد إلى أن يبذل للأسرة الآدمية برة ومعروفه ،
ومعونه وإحصانه ، وأن يكون فى سبيل ذلك أشبه بالجندى المجهول الذى ينسى
نفسه من أجل المصلحة العامة ، ويقدمها رخيصة للنموض بالمجتمع الذى يعيش فيه ،
وليس معنى هذا أن يتواكل غيره فى مقابلة جده ، ويتكاسل سواء لأن هنالك
من يكفيه مؤونة العمل ، بل إن فيه من صريح النصوص ما يثبغ فى الحياة
على حساب الناس ، وتحت رحمة المخلوقات ، ويرى أن السعى فى طلب الرزق ،
والكد لتحصيل القوت ، من أفضل أنواع العبادة ، وخير أبواب
الطاعة ...

وقد صح أن جماعة سألوا الصادق المصدوق في رجل تبتل لله ، واعتكف في المسجد ، وانقطع عن أعمال الدنيا يريدون أن يعرفوا قيمة صنيعه ، وجزاء عبادته ، ومقدار ما وصل إليه من الرضا والقبول .

فقال : ومن يصلح له أمره ، ويكفيه ما يهيمه ؟ فقالوا : كلنا يا رسول الله ! فقال : كلكم خير منه ، وهذا الفهم درج السلف الصالح من هذه الامة منذ فجر الإسلام ، فلم يكن فيهم متسول ، ولم يظهر من بينهم مستجد ، ولم ينبشأ التاريخ أنهم كانوا عالة على الناس .

والقرآن الكريم يمدح المتعففين ، ويشيد بمنزلة الزاهدين ، ويغالى في الشناء على الذين يعتمون رب الارباب ، يعولون عليه ، ولا تتحول وجوههم إلا إليه ، يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف ، لأنهم بهذا الخلق يطرحون بآمالهم بين يديه وكفى ، والله العزة والرسولة والمؤمنين .

ومن النظريات المسلم بها في طبائع الفطر ما يقول جل جلاله : « وأحضرت الانفس الشج ، ولذلك ذاب أصحاب المال ألا يجودوا به إلا للضعف الملح ، والراجي الذي يصمر خده ، ورأينا الشمرء يستدرون الندى بما يصل بهؤلاء إلى درجة الألوهية ، ويسمو بهم عن مستوى الإنسانية ، وهو كفر يستوجب اللعنة والفضب ، والنقمة والسخط .

وكان من أدبه صلى الله عليه وسلم ، وإذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله . ولعل ذلك مما يتعلق بنظام العمران أكثر من تعلقه بالدين والأخلاق ، والإباء والكرامة ، فإننا نعلم أن التكافؤ الاقتصادي ، والمساواة الادبية ، من أسباب الروابط ، ودوام الوشائج ، والام في ذلك كالأفراد ، ولا يحى الاستعمار ، وتستيقظ مطامع الاحتلال ، إلا من ناحيه الضعف والحاجة ؛ والسُّعْمَار القائم الآن على وجه الأرض ، لا يعدو أن يكون صراعا بين طرفين ، لا يتلاقيان عند قوة واحدة من الغنى والفقر .

ولا يظن ظان أن السؤال في الحديث بمعناه المتعارف ، إذ يرفع المسلم يده

بالدعاء ، ويوجه قلبه بالرجاء ، وإلا كان بمن عنام عمر بن الخطاب بكلمته ، لا يعتمد
أحدكم عن طلب الرزق ، وهو يقول اللهم ارزقني ، وقد علم أن السماء لا تمطر ذهباً
ولا فضة ، بل هو عام في كل ما كان أخذاً في الأسباب ، وطرقاً للأبواب .
ولعل من النبوءات الحكيمة ، والفلسفة البعيدة المدى ، قول النبي العظيم :
« يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة على قصاص ، قالوا أمن قلة نحن
يا رسول الله ؟ - حينئذ - قال : « لا ولكنكم كثرة كغناء السيل ! » .

وربما كانت هي هذه الكثرة الفاشلة ، والسواد الذي تزيد به الأمة في الكم
لا في الكيف ، حيث تسود البطالة ، ويفشو التواكل ، وتخور العزائم ، وتضعف
الثقة ، ويسأل الإنسان الإنسان ، ويعبد المخلوق غير الخالق ، ويتفنن في الملق ،
ويتأنق في الرياء ، ويبالغ في النفاق ، ومن هذه يستشري خراب الضمائر ،
وفساد الذمم .

فن للمسلمين أن يتأدبوا بهذا الأدب ، وينهلوا من ذلك المعين ، ويسيروا على
هداية نبيهم ، وصراط رسولهم ، قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن
اتبعني ، لأن أسلافهم الذين تقدموا ، وأجدادهم الذين مضوا ، ساروا على هذا
الدرب ، وخفقوا على ذاك الأثر ، فتطامن لهم جيد الزمن ، وتلفت إليهم عنق
الأيام ، ودانت لهم الأرض ، وصالحتهم تيجان الملوك ، وسجلت الحوادث حياتهم
بمداد من النور ، وما هي ذى لا تزال في الأفواء حلالة ، وفي الأسماع نغما ،
وفي الأبصار متعة ، يتحمل بهم المتحمل ، ويتطلع إلى غايتهم المجد ، ثم يرجع خائر
الحس ، واهى النفس ، كما يرى السارى القمر دون أن يناله ، وينظر الظمآن إلى
الماء في الزجاج ولا يصيب منه بلبلة .

ولله تلك الأمثال يضربها الله للناس فلا يتصورونها إلا من السحر ، ولا
يتخیلونها إلا من الشعر :

يمشون تُغضى الأرض منهم هيبة ولم حبال نعيمها لغضاء
حتى إذا دانت لهم أطرافها لم يطغهم ترف ولا نعماء

أعلام الأزهر

الشيخ عبد الكريم سليمان

المتوفى سنة (١٣٣٦ هـ) (١٩١٨ م)

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمد كامل الفقى

المدرس فى كلية اللغة العربية

نشأته وحياته :

ولد رحمه الله فى القاهرة يوم الخميس غرة شعبان سنة ١٢٦٥ هـ من أبوين البانين الأصل ، فقد وفد إلى مصر من ألبانيا ، جده لأبيه المرحوم ، سليمان افندى أغا فى عهد محمد على باشا ، ووظف بمجده ، وكان ابنه ، حسين افندى ، قد انفصل بأسرة من جنسه بقرية ، جنوباى ، من أعمال مركز ، إيتاى البارود ، بمديرية ، البحيرة ، فأصهر إليها ، ولبت بهذه القرية على هوى منه ، وزهد فى وظيفته بما اشتراه من عقار فى هذه الجهة ، وقد رزق عدة بنين كان المرحوم ، الشيخ عبد الكريم ، ثانيهم سناً ، وقد أصيب ، الشيخ عبد الكريم ، بالجدرى وهو طفل فكاد يذهب ببصره ، لولا أن القدر هيا له أخاه فى الطفولة ، فبينما كانا يلعبان على سطح الدار إذا بأخيه يقذف به فيهبط من حالق وتشج جهته وحاجبه ، ويتدفق منها دم غزير انكشفت به غشاوة عن إحدى عينيه ، فأبصر بها .

وقد حال ضعف بصره دون إلحاقه بالمدارس ، فالتحق بكتاب القرية ، وتعلم مبادئ القراءة والكتابة وأتم القرآن بها ، ثم أشرب حب الأزهر وتملكه هواه فتسلل خفية إليه ، وقد التقى فى طريقه إلى الأزهر برجل من قريته ، فسأله الرجل عن مقصده فعمى جوابه ، وإذ ذاك عاد به الرجل إلى القرية وأسلمه لوالده ، ولم يشأ والده أن يصرفه عن حبه الأزهر ، فأوفده إليه فى سنة ١٢٨٨ هـ فانكب على العلم وطالعه برغبة وشوق ، وكان معروفاً بالذكاء والتفوق على الأقران ،

وجمعه صداقة الصبا بجمهرة من نابغى الأزهر كالطلاب محمد زغلول، ومحمد عبد،
و إبراهيم الهلباوى، وغيرهم .

وفى أواخر دراسته بالأزهر وفد إلى مصر ، السيد جمال الدين الأفغانى ،
فرصل بينهما ، الشيخ محمد عبده ، وأكده وذهما ، فتلقى ، الشيخ عبد الكريم ،
عن الأفغانى ما كان ينشره بصر من العلوم ، ودرب فيمن درهم على الكتابة
ومعالجة الشئرن ، ومنذ ذلك الحين شرع يكتب فى الصحف ، ويتناول النواحي
الوطنية والخلقية والاجتماعية ، وذاع اسمه بين الكتاب النابغين ، وكان قلبه يدر
عليه اليسر والرغد ، وكان شهادة العالمية من الدرجة الأولى فى سنة ١٣١٥ هـ .

أعماله :

انجبت رغبة المرحوم رياض باشا ، وكان ناظر النظار إلى إصلاح جريدة
الوقائع المصرية ، فقلب بصره باحثاً عن نحرير الكتاب وجمها بذهم ، فاختره
فيمن احتارهم لنحريرها ، كسعد زغلول ، وسيد وفا ، وغيرهما تحت رئاسة
الشيخ محمد عبده ، سنة ١٨٨٠ م . وكان رياض باشا ، قد اهتدى إليه بمقال
كتبه قبل ذلك تناول فيه بالنقد بعض أعمال الحكومة ؛ فدعاه على أثر ذلك
وخيره بين الكف عن الكتابة والتزام قريته ، فأثر الثانية ، ثم دعاه منها لهذا
العمل ، فكان أحد الذين سموا بلغة الوقائع ونهضوا بتحريرها ، وخلصوها عما
كانت ترسف فى أشلاله من السجع المرذول والصناعة المستكرهة .

ولما حوكم ، الشيخ محمد عبده ، عقب الثورة العرابية ، وقضى بنفيه إلى الشام
حل ، الشيخ عبد الكريم ، محله فى رئاسة الوقائع ، وظل بها إلى أواخر سنة ١٨٩٧
وهى السنة الى ألغى فيها القسم الأدبى من الوقائع ، فعادت إلى ما كانت عليه
صحيفة أوامر وقوانين .

ثم عين فى أول يناير سنة ١٨٩٨ م عضواً بالمحكمة الشرعية العليا ، وكان قد
حصل على شهادة العالمية فى فقه الأحناف لأنه نشأ شافعى المذهب ، ولا يتفقد
فضاء مصر إلا الخلفية ، وقد أبدى ذكاً غريباً فى دراسة فقه الجديد ، فإنه تضلع
فيه واستمكن ، فى وجيز من الزمن .

وفي أول أبريل من سنة ١٩١٠ م عين مفتشاً عاماً بالمحاكم الشرعية ، وطاف بمحاكم البلاد جميعها ، وكتب تقريراً مبدعاً بين فيه ما شاهده من علل ونقص ، وأشار بكثير من ضروب العلاج والإصلاح الإداري والفقهى ، ثم لقي عنتاً أثر به الاستقالة في نوفمبر سنة ١٩١٢ م .

صلته بالشيخ محمد عبده ، :

وقد نشأ ملازماً للشيخ محمد عبده متآخياً معه ، لا يفادر أحدهما الآخر منذ صباه ، ولقد ضرب الشيخ محمد عبده في أثناء دروسه مثلاً يصتور به تلازمهما فقال : كأن يسأل السائل هل رأيت الشيخ محمد عبده ، ؟ فتقول : ولا ، الشيخ عبد الكريم سلمان ، ، وكان بينهما تقارب في الرأي وتناسب في الفكر ، وتشابه في الشعور ، وكأنهما أرادا أن تدرم صلتهما في الآخرة كما دامت في الأولى ؛ فابتنيا قبراً واحداً ضم رفاتهما ، فما أبلغ ذلك وفاة .

لازم الشيخ عبد الكريم ، صديقه الإمام أكثر من عشر سنين بذلاً فيها معاً جهوداً موفقة في خدمة الأزهر وإصلاح شئونه ، وكثيراً ما عاون الشيخ عبد الكريم ، زميله الإمام في مشروعاته المنمرة وعاضده في إنجازها ، على رغم ما يدبر له من كيد أعدائه وأعداء الإصلاح ، حتى أنجز في ظلّهما ورعايتهما للأزهر إصلاح واسع الأفق فصله الشيخ عبد الكريم ، في كتابه الذي سماه ، أعمال مجلس إدارة الأزهر ، وقد طبعه المرحوم السيد رشيد رضا ، مجرداً من اسم صاحبه لما حواه من حقائق تتصل بالخدويى إذ ذاك ، ولما قدم الإمام استقالته من مجلس إدارة الأزهر قدم هو الآخر استقالته في الأسبوع نفسه (١) وما قال الإمام في تقديره ، وأكنته كتنى فأدينه منى ، وجعلته في مكان النحو من ابن جنى ، .

وما زال كذلك حركة دائبة في الإصلاح ، وآية فذة في العلم والأدب حتى

(١) تاريخ الإمام ج ٣ ص ١٦٥ وقد تبعهما بالاستقالة عضو آخر هو الشيخ سيد أحمد الحنبلى ، كاتلاً هذه الاستقالات استقالة الشيخ على البيلوى شيخ الأزهر لمعهده . وسبب ذلك معارضة الخديوى لمحمد عبده في إصلاحات الأزهر لأنه كان يريد أن يتخذ منه أداة لتقوية نفوذه السياسى وكان محمد عبده يقف في سبيل ذلك . [تاريخ الإمام ج ١ ص (٥١٢ - ٥٦٦)]

قبض رحمه الله في يوم الجمعة السابع عشر من مايو سنة ١٩١٨ ، على أثر نوبة قلبية لم تمهله ، وقد نقل جثمانه من د الرحمانية ، إلى القاهرة في حفل رهيب ، وسعى إليه سعد زغلول وعلما الأمة وعظماؤها وأدباؤها وكبراؤها .

أخلاقه :

هذا وقد كان رحمه الله أبلى الأمثال في الإباء والاعتزاز بالكرامة ، رحباً يرثى للمذنبين ، وينفق خفية على الموزين ، ويسعى لقضاء مصالح الناس فلا ترد له كلمة ولا تنكس له شفاعة ، يؤثر غيره على نفسه ، ولو كان به خصاصة ، ويقدم سواء فيما هو أهل له ، رجا صديقيه الإمام وسعدا يوما ما في تعيين بعض الأصدقاء ، وقد توسط به في منصب كبير فقال له الإمام : إننى ود سعدا ، ندخر هذا المنصب لك وأنت أجدر الناس به ، فقال : لا . لن أقبله ، إنما هو لصاحبى فقد أعطيته كلمة .

وبلغ من الرثاء للحتاجين البائسين أنه كان يجمع من كثير من الأغنياء صدقة يوزعها عليهم ترفها عنهم .

كتابه :

اشتغل رحمه الله بالكتابة والتحرير في الصحف وهو يطلب العلم في الأزهر ، وبكثرت صيته بالكتابة الأدبية القيمة التي نشرها في د الوقائع المصرية ، د والمقطم ، ود الجريدة ، ود الآداب ، ود المؤيد ، وغيرها من الصحف . وما يذكر له بالفضل ما بذله من صادق المجهود في تخليص الكتابة من ربة السجع والمحسنات والزخرف ، وكان أشد الناس بغضا للتهويل والمبالغة ، ميالا إلى القصد والاعتدال في الكتابة ، واضح الغرض ، سهل العبارة ، فصيح التعبير ، مسلسل الفكرة ، قوى الحجة ، سليم المنطق .

ولنا لنجد في بعض كتابته طرفا من السجع ولكنه قليل ضئيل ، بالنسبة لما كتبه مما استرسل فيه وأتى به طلقا مشرق الديباجة ، أبلغ الغرض ، مسيرا بحيته وطبيعته التي لا تميل إلى السجع إلا إن وافاها عفوا دون طلب .

نماذج من كتابته

كتب إلى كريمته ، السيدة رابعة ، ، وقد انتقلت إلى منزل زوجها في بلد آخر ، وكان يحبها حباً لم يطق معه توديعها .

« عزيزتي رابعة ، سلام عليك وعلى من تحبين .

وبعد

فيلم الله يا عزيزتي أنني ما سافرت لمنفعة أستجلبها ، ولا لمضرة أتسكها ، ولكنني أشفقك أن أراك وأنت ترحلين بيدي إلى بيتك الجديد ، وهذا لا يستغرب مع شيخوختي وضعف عزمي ، هن مقاومة التأثيرات ، ولقد أحسست اليوم عند خروجي بماء عراك ، ثم رأيته بعيني عندما قبلتك قبلة التوديع ، ووجدت من نفسي هزيمة كبيرة أمام هذه الحالة ، ولكنني عدت فأمنت بأن هذه سنة الدهر ، وأدركت أن هذه الفرقة إنما هي فرقة الجسم ، أما الصلة القلبية ، والمودة الأبوية ، والشفقة والحنان ، فمكل هذا دائم لا يزول .

ولقد أخفيت أمر سفرى وجعلته لسببي ، والحقيقة ما كاشفتك به وهو خشية ذلك الموقف الخطير ، والصدق يا عزيزتي هو أفضل الفضائل ، وأنت تعلمين بحافظتي عليه ، ولذلك لم أستطع بقائي مصرّاً على ذلك السكتان ، فأعلمتك بأمرى ، وانهمز صبرى ، وعلى الله أجرى والسلام .

وكتبت في صفحة أخرى من الخطاب إلى صهره :

إنني وضعت أمانتي بين يديك ، ورضيتك لها حافظاً أميناً ، فعليكم بقوى الله في العناية بها ، والاهتمام بشأنها ، وما أريدك إلا أخذاً بحمتك نائماً يواجبك ، ولم أوصها بمثل هذه الوصية لأنها منك بمنزلة الأمانة ، وليس للوديعة في يد المودع إلا الحفظ ، وما عليها وهي في يده إلا أن تكون حيث يضعها من أمكنة الحفظ والعناية .

وقد مهل على أمر فراقكما أن هذه سنة الله في خلقه ، واحترام كل منكما صاحبه كامل الاحترام ، أدام الله لكما هذا التوفيق السار ، المخفف لآلام البعد ، وصعوبة الافتراق .

وأهدى كتاباً إلى صديق له وكتب إليه :

« الإنسان الكامل ، والمولى الفاضل ، دام كماله ، وزاد إقباله .

كتابي إلى الأستاذ والمهديا يزيد في التواد ، وتوسع في قوة الارتباط ، إن كانت لغير من حظرها عليه الشرع القويم ، والشيخ منى بمنزلة الأخ من أخيه ، وأنا منه بمثابة الولد من أبيه ، ولا داعية لي إليه سوى الصلة به ، ولا أريد منه غير الوداد . قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ، ، وقد اخترت لك من كتب الأدب العربي القديم كتاباً حديث المهد بالوجود ، بدئته إلى حضرتك ممتعاً بأنه نموذج فضلك ، ومعنى أدبك ، يعترف لك مهديه ، بأنه لاحظ المناسبات ونظراً إلى الرغبات ، وقبل أن تشغل بالبحث فيه عن اسمه والأوصاف ، أعلمك بأنه كتاب المنسوب والمضاف ، فهنئاً له بالشيخ يقدره حق قدره . وهنيئاً للشيخ به بزيده في أمره ، وإن قبل الأستاذ لهديتي مكفول بحق أخلاقه ، وطهارة أعرافه ، وبعلمه بأن النفع بها وهي عنده أهم وأوفى ، فله الحمد على ما قبل ، والشكر على ما أولى ، .

مركز تحقيق كاتبة علوم إسلامي

لا يفوته

لم يقل أحد في معنى عدم إمكان الإفلات منه أحسن من قول النابغة الذبياني
الشاعر المشهور من قصيدة للنعمان بن المنذر ملك العرب :

فإنك كالليل الذي هو مدركي وإن خلت أن المتأى هنك واسع

وهذا البيت ضمن أبيات أخرى هي :

أتاني آبيت اللعن إنك لمنني وذلك التي تصطك منها المسامع

فبت كأي ساورتي ضئيلة من الرقش في أنيابها السم ناعم

كلفني ذنب امرئ وتركت كدى العر تكوى عره وهورائع ،

والعر هو الجرب .

الأدب في الأدب

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ عبد الحميد محمود المسلول

المدرس بكلية اللغة العربية

يتساءل الباحث ويحمد نفسه في بحثه وتساؤله : من هو الأديب الذي يستطيع أن يقوم برسالة الأدب وينهض بأعبائه ؟ وكيف يسكون الأديب المبين الذي يخلق من القبح حسنا ، ومن الدمامة جمالا ، ويجعل الحياة المظلمة العابسة المتجمعة أمام أهيننا ضاحكة مشرقة تنبعث منها البهجة والمتعة ؟

ما هي الحدود والفواصل التي تفرق بين الأدباء والأدباء ، بين الفن الحر والفن الزائف ، بين من يمدون أعناقهم إلى منازل الأدب الرفيع وأعينهم كيلة وقلوبهم هواء ؟

إن مما يدعو إلى الأسف ويشير اللوعة والمضاضة أننا لا نرى ميدانا أوسع فوضى ، وأشد اضطرابا ، وأكثر ادعاء ، وأحفل بالمزاعم الكاذبة من ميدان الأدب . فكل من يحمل قلما يزعم أنه أديب له في دولة الأدب صولة ، بل صولات وفي أرباضه ومروجيه جولة بل جولات ، وكل من يستطيع تحرير خطاب تأخذه العزة به ، ويدخله الغرور ، ويستولى عليه الزهو ، ويظن في نفسه أنه يستطيع أن يكون من كبار الكتاب وأعلام المؤلفين :

فكل يدعى وصلا لليلي وليلى لا تقر لهم بذاكا

ولكن ما دامت المعالم غير واضحة ولا معروفة ، والحدود غير مستقيمة ، ولا مرسومة ، فليدع من شاء ما شاء ، فلعل بعض الادعاءات أن تصيب لها من بعض الغافلين سميعا .

إن الأديب الذي ننشده ونعنيه هو الذي يستطيع أن يستشف صور الحياة ، ويكتنه أسرار الكون ، ويصوغ من كل ما يحيط به ويتصل بحسه ويشير نوازه

الادب الاديب

٩٣١

وهو اجسه صوراً نابضة بالحياة ، مشرقة بالعبرة مضيئة بجلال العظة ، نافذة إلى القلب حتى يسكن إليها ، محكمة الاواصر بأغوار النفس حتى تطمئن لها وتتفعل بها .
الاديب هو الذى يفتح عيونه لكل ما يمر به من مناظر وصور ، يحاول أن ينتفع بخيرها ويأخذ العبرة من شرها ، ويبقى ببيانه الساحر وتصويره البارع لونا براقاً ، يجعل الصعب من الأمور سهلاً والعسير يسيراً والمرحلاً ؛ لتخف أعباء الحياة . والاديب البارع هو الذى ينتزع صوراً ويبدع فنه مما يحيط به من المظاهر ، وما يستشفه من خلجات الافئدة ونزعات النفوس وهمسات القلوب ، وما يسيطر على بيئته من تشاؤم وظلمة ، أو يغمرها من تفاؤل ونور .

ثم هو يحيل خياله ويعمل فنه فى سوق هذه الاحاسيس والانفعالات ، وعرض تلك الصور والرسوم : لتحرك فى القلوب ألوان الرضا والابتهاج ، أو تثير فى النفوس أسباب الإشفاق والرتاء .

لكننا نعود إلى تساؤلنا من جديد ما السبيل إلى تكوين الاديب هل هذا الوضع ؟ وما الطريقة التى نستطيع بها تنمية فنه ، وصقل مواهبه ؟ هل السبيل إلى ذلك المكوف على الكتاب والإقبال على الدرس حسب ؟ هنا يكون الخطأ فى الرأى ، والضلال فى الفكرة ، وهنا سر ما نلحه من تهافت واضطراب فى أدب بعض الادباء ، وتفكير بعض المفكرين ؛ إذ يعيشون فى بيئة ويفسكرون بتفكير بيئات أخرى عنى عليها الزمن وطوتها صحائف التاريخ .

إنما السبيل إلى تكوين الاديب تكويناً صحيحاً يرتجى ثمرته ، وترتقب فائدته ، الإحساس الحق بالحياة التى نعيشها ، والإيمان العميق بالبيئة التى نعيش فيها ، والشعور بما نشعر به ، والتفكير فيما تفكر فيه . فالذى يعيش فى بلد أداة الرحلة فيه القطار والسيارة والطيارة ، لا ينبغي له أن يتخيل أنه قطع المفاوز وجاب الففار على متن :

مكر مفر مقبل مدبر معاً كجلود صخر حطه السيل من عل

منجرد قيد الاوابد هيكل

أو عوجاء من قال تروح وتغدى

فليست هذه الاوصاف ولا تلك النعوت ولا هاتيك المروافات مما يتصل بحياته بسبب أو يمت إليها بنسب .

ولا يظن أحد أنني أدعو إلى أن نسقط من حسابنا هذه الأوصاف ، ونغضى عن تلك النعوت التي صاغها الفكر المبدع ، والذهن الصافي ، والخيال الوثاب ، ونغضى على تلك الثروة الأدبية الفاخرة التي تميز بها لغتنا ، ويشرق أدبنا ، ويحتفظ بها التاريخ في سجل المجد والفخر ، ولكنني أدعو جامداً مخلصاً لتصح أداتنا ، وتستقيم وجهتنا وتخلص غايتنا ؛ أدعو إلى الصدق في التصوير ، أدعو الأديب الذي رحل في طائرة ، أن يصف الطائرة أو ركب متن دابة ، أن يصف الدابة ، أو قطع البحار في باخرة ، أن يصف هذه الباخرة ، وسيجد في كل منها منبعاً فياضاً لا يفيض معينه ، ولا تنفذ ذخيرته ، لأنه يتصل بنفسه وإحساسه ، وما لقيته من سرور وبهجة ، أو كابته من إجهاد وإرهاق ؛ وإن الذي يصف واقعاً أو يتحدث عن عيان ومشاهدة جدير ألا يقع في اضطراب ، وألا يصيب ف فكرته أو أسلوبه ضعف أو خلل .

يأتى بعد ذلك — بعد تصحيح الفكرة واستيفاء المعنى — دور الصياغة وطريقة الأداء وبها تأخذ الفكرة سمت القبول والرضا والاستساغة ، أو تقابل بالتجهم والسخط والامتناع .
إن الفكرة تصبح أخرى بالرضا وأدعى إلى القبول واكتساب الأنصار ، إذا لبست ثوباً قشيباً وسمتاً أنيقاً من اللفظ العذب الجميل ، والحبك المستوى والأداء المستقيم والأسلوب الرائع الذي ينفذ إلى القلب ، ويمسج النفس ويشير المشاعر الغافية ، ويوقظ الأحاسيس الهاجعة ، وكلما كان السمت الذي تلبسه الفكرة موفيقاً مشرقاً متلائماً المنسج متلائماً الصلة ، لا تساوره جنونه اللفظ ولا تداخله وعورة المزع ولا غرابة التخيل ولا بعد المأخذ ، كانت الفكرة أمس اتصالاً بالنفس والظف مدخلا إلى القلب وأدعى إلى إثارة الإعجاب والتقدير .

والسبيل إلى ذلك دائماً ، هو التمرأة والارتياض بفنون القول ، وطول الصعجة لأساليب الناس ، والوقوف طويلاً عند صورهم الباردة ، التي اجتمع فيها سمو البيان ، وجمال الفن ، وجودة الصياغة .

وأذكر أن أحمد كبار الأدباء كان يختار القطعة الفريدة النادرة من كلام الجاحظ أو غيره ، ثم يأخذ في عرض ألوان جمالها ، وحسن شياتها ، والميزات

التي أفاضت عليها البهاء ، والرونق من استعارة جميلة ، ومجاز بديع ، وخيال مخلق طريف ، وأسلوب سلس ، ولفظ جذاب ، ثم يقف طويلاً عند منزع الفكرة ، ومعرضها يتملى ويستملى ، ويقبس شيئاً بشيء ، ويقترن معنى إلى معنى ، ويولد خاطرة من خاطرة ، ويتمسك بفكرة من فكرة ، ويحاول بمد ذلك أن يخلق صورة تشبه هذه الصورة ، وينمق قطعة تطول هذه القطعة ، أو تفرعها ، حتى يصيب الخير الكثير من وراء هذه المحاكاة وتلك المماثلة .

يقول المرحوم الرافعي (١) :

« فسر النبوغ في الأدب هو التوليد ، وسر التوليد في نضج الذهن الميلاً بأدواته العصبية المتجه إلى المجهول وممانيه ، كما تنجبه كل آلات المرصد الفلكي إلى السماء وأجرامها .

« وبذلك انصرف الذهني يزيد النابغة على غيره ، كما يزيد الماس على الزجاج ، والجوهر على الحجر ، والفولاذ على الحديد ، والذهب على النحاس ، فهذه كلها نبغت نبوغها بالتوليد في سر تركيبها ، ويتفاوت النوابع أنفسهم في قوة هذه الملكة ، فبعضهم فيها أكمل من بعض ، وتعد لهم في الخلاف أحوال أزمانهم ومعايشهم ونحوها ، وبهذه المباشرة تجتمع لكل منهم شخصية ، وتنسق له طريقة ، وبذلك تنوع الأساليب ويعاد الكلام غير ما كان في نفسه ، وتجدد الدنيا بمعانيها في ذهن كل أديب يفهم الدنيا ، وتتخذ الأشياء الجارية في العادة غرابية ليست في العادة ، ويرجع الحقيقى أكثر من حقيقته .

نخلص من ذلك كله إلى أن الأديب الخالد لا يتهياً له الخلود ، ولا يستوفى لديه السمو والابداع إلا حين تنجح له الفكرة النافذة ، والمعنى السديد والرأى الناضج ، ثم يتهياً له الأسلوب المشرق ، والعبارة التي تزينا خلاصة البيان وروعة المنطق وسمو الخيال .

وسبيل ذلك كله الاندماج في الحياة وتمحيص ظواهرها ، وإرهاق الحس لكل ما يضطرم فيها من خواج وما يمر بها من صور .

وسيله كذلك إدمان القراءة ومواصلة الاطلاع ، ومحاولة الخلق والإنتاج والإبداع ، ومتابعة نتاج الفكر حتى يقف المرء على كل جديد .

ولقد رسم القديس هذه الطريقة المثلى لتكوين الأديب ، واستمعوا إلى ما يقوله الجرجاني في الوساطة ص ٢١ : « أنا أقول أيدك الله : إن الشعر علم من علوم العرب ، يشترك فيه الطبع والرواية والذكاء ، ثم تكون الدربة مادة له وقوة لكل واحد من أسبابه ، فن اجتمعت له هذه الخصال فهو المحسن المبرز ، وبقدر نصيبه منها تكون مرتبته من الإحسان ، ولست أفضل في هذه القضية ابن القديم والمحدث والجاهل والمخضرم والأعرابي والمولد ، إلا أنني أرى حاجة المحدث إلى الرواية أمس ، وأجدده إلى كثرة الحفظ أفقر . »

أما ما ينبغي أن يسلكه الأديب من سبل تزيد ثقافته ، وتغني معرفته ، وينضج فنه ، فلنا إليه عودة .



أنشد علي بن الجهم جعفر المتوكل شعره الذي أوله : هي النفس ما حملتها تتحمل ، وكان في يد أمير المؤمنين جوهرتان ، فأعطاه التي في يمينه جائزة له على ما أنشده من مدح : فأطرق ابن الجهم متفكراً في شيء يقوله ليأخذ التي في يساره فقال له الخليفة مالك مفكراً ، إنما تفكر فيما تأخذ به الأخرى . خذها لا بورك لك فيها . فأنشأ ابن الجهم يقول :

بسرّ من رأى امام عدل	تغرف من بحره البحار
يرجى ويخشى لكل أمر	كانه (جنة) ونار
الملك فيه وفي بنيه	ما اختلف الليل والنهار
يداه في الجود ضرّتان	عليه كلتاها تغار
لم تأت منه اليمين شيئاً	إلا أنت مثله اليسار

الأخص في العمل

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ صادق خطاب

المدرس بكلية اللغة العربية

كل إنسان له في الحياة رسالة يجب أن يقوم بها ، ومهمة ينبغي أن ينهض بأعبائها دون إهمال أو تكاسل ، ومهما كانت قيمة العمل الذي يؤديه المرء ، ومهما صغر وضعه وقل شأنه ؛ فهو عمل تنتظم به الحياة وتستقيم الأمور ، وتسير الأمة به في سبيل الرقي والكمال ، فالمعلم والصانع والتاجر والزارع كل منهم يضع لبنه في بناء أمته ، ويقم حجرأ في صرح وطنه . إن أقامه بإخلاص ووضعه بحكمة وأمانة ، استقام للأمة أمرها وصلاح حالها ، وانجحت بطبعها ووضعتها إلى طريق الكمال وسبيل السعادة ، وما دام كل إنسان يقوم بدوره وينهض بواجبه ؛ فحال أن تقف دورة الأمة أو يحول بينها وبين العظمة والسيادة حائل .

أما إذا أهمل كل إنسان في عمله ، وتراخى في مهمته وتغافل عن وظيفته ، فلا بد أن تختل الأوضاع وتفسد الطباع ، وتبطل الأحاسيس والمشاعر ، ويمتري الأمة حالات من الفتور والإعياء والضعف الاجتماعي الذي يسلبها قوتها ، ويمتص حيويتها ويقضي على ما فيها من عزة ونخوة ، نحن نشاهد أن هناك دولة قوية ناهضة وأخرى ضعيفة متخاذلة ، نشاهد أن هناك دولة تبسط سلطانها وسيادتها ، وتفرض على الأمم احترامها وإجلالها ، وقد تخطو خطوة أخرى فتستعمر وتحكم ، وبجانب ذلك دولة أخرى خاضعة نائمة غافية مستسلمة لا تحس هضبا ولا تنكر ظلما ولا تظهر ألما ؛ لأن كل ما فيها من حس وشعور قد تبدل ونخد ؛ بل استحال إلى عبودية راضية قانعة . هناك دولة تهمس بكلمة فتتهز الدنيا وترتجف ، ودولة تملا الآفاق صراخا وعويلا فلا يحس لها أحد صوتا ، ولا يرى أثرا ، فما هو

السرف في ذلك؟ ما هو السر الذي لم نفهمه؟ والعامل الذي لم نعلمه؟ بل ما هي الحكمة التي لم نأخذ بأسبابها، ولم ننفذ إلى مسالكها وأبوابها؟

ليس للقوة أسباب ولا أسرار، وليس للسيادة عوامل ولا دوافع، إلا الإخلاص في العمل وحسن انتظامه وصدق القيام بالواجب، وعكوف كل إنسان على شأنه وإقباله على عمله يؤديه في دأب، وبهض بأعبائه في صبر وتعمده لنفسه بقمع شهواتها، ويحد من مطامعها وأهوائها ونزواتها.

وليس للضعف والهزال بواعث إلا الاستهانة بالواجب، والتواني في أداء الأعمال، وعدم الإخلاص في الرسالة التي يكلف بها الإنسان في الحياة؛ وبهذا تتأخر الأمم وتنتكس، وتضعف وتموت.

يجب أن يدرك الإنسان أنه حين يكسل عن عمله ويفرط في واجبه إنما يضر نفسه، ويؤذي معيشتة وفضلا عن ذلك يضر أمته ويؤخر عوامل التقدم والارتقاء فيها... قد يستهين بعمله لأنه صغير ضئيل ويزدرجه لأنه فيما يرى ليس بذى قيمة مذكر، ولكن هذا العمل على ضآلته وحقارته وعلى قلة جدواه وهزال ثمراته، هو من متممات الحياة للامة بل من عناصر البقاء فيها، فإذا لم يؤد هذا العمل الصغير، لم يطل ركن من أركان الحياة وجانب من جوانب البقاء فيها.

في الحديث الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أعملوا فكل ميسر لما خلق له»، وفي كلام رب العزة جل شأنه: «وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون»، ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون».

يقرأ الإنسان هذه العظات البالغات، ويفهمها حق الفهم ويرى عواقب الكسل وآثار الإهمال، ضرة وتأخرا وضعف شخصية وانحلال ذاتية، ومع ذلك ومع هذه العبر التي تلاحقه في كل مظهر، وتأخذ عليه -بيلة في كل ناحية تنحكم فيه نوازع الإهمال، ويتمكن منه إشاره للراحة وإخلاده للدعة، فإذا به يتهاون في مهمته فلا يؤديها بصدق رغبة وحرارة إخلاص، وقد ينام عن أدائها كما ينام عن عاقبة التفريط فلا يحسها، ولا يشعر بحرارتها إلا بعد أن تصدمه صدمة مرهقة، وتظهره عاطلا متبطلا خائر النفس متخافلا القوة.

وهكذا تكون آثار الإهمال وجنابات الإهمال على الأمة ؛ نبت يصوح وهو في شباب حياته وريبع نمائه ، وزهور تذبل وهي في إبان النضوج والتفتح ، وغرس يتشتم وينحطم عوده قبل أن يؤتي ثمره إلا نشعر جميعا بالآلم والحبيسة وبالمرارة وشدة الفجيعة حين ترى جموعا حاشدة تزحف في الشوارع كالجيوش الجرارة الزاخرة تلتهم المسألة ، وتبغى التكفف ولا تحاول أن تجرب العمل ؟! تذل ما أعزه الله ، وتهين ما أكرمه ، وتريق ماء صانه وعظمه ! ولو سئلت أن تعمل لأتيت ! ولو طلب منها أن تشتغل لادعت المعجز واصطنعت الضعف والإعياء !

إن ميادين العمل التي تتطلبها الحياة كثيرة متنوعة ، لا ترد طالباً ولا تغلق دون راغب ، ولكن الشيطان أعماهم ، ودافع الجشع أضلهم وأغواهم ، فلم يعرفوا إلا السؤال وذلة وامتهانه ، لأنه سهل مريح مريح لا عناء فيه ولا كلفة ، مع أن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله وليس في وجهه مزعة لحم » .

نرى بجانب هؤلاء السائدين المتكففين نوعاً آخر من الناس مردوا على التسكع وأنفوا البطالة ، وأخلدوا للدعة والراحة ، هم صناع ، صناعهم في أيديهم ، لكنهم لا يعرفون العمل إلا حين يقتلهم الجوع ويحصدهم العرى ؛ إذا تهيأ القرش لهم ، وأخذ سبيله إلى أيديهم أنفاسهم ربههم وواجههم ، وألهامهم من كل طاعة وكل هداية ، وبجانب أولئك هؤلاء شباب ناضر قوى ، يفيض صحة وقوة ، ويقطر حيوية وفتوة واكتمال شباب ، ولكن ليس لهم عمل إلا التسكع في الطرقات ، والتمرغ في القهوات ليلاً ونهاراً كأنما ليس لهم بيوت تحتاج إلى كدهم وعملهم ، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « أشد الناس عذاباً يوم القيامة المسكن في الفراغ ، (أي العاقل الذي يكفيه غيره طعامه وشرابه) ، فما أجدر المسلمين وهم يرون الأمم تستبق في ميادين الرقي والتقدم ، بالقضاء على هذه الآفات والتغلب على تلك العورات والزلات ؛ لتقوى نفوسهم ، وتعرز أمتهم وتسد أوطانهم .

المج

« وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى
كل ضامر يأتين من كل فج عميق ،
قرآن كريم

لفضيلة الأستاذ الشيخ عبد المنعم على أبو سعيد

ما من عبادة شرعت في الإسلام ، وما من طاعة دعا إليها القرآن ، إلا كان لها أبلغ الأثر في تطهير النفوس ، وتهذيب الأخلاق ودعوة الناس إلى السعادة الدائمة ، والعزة السكرية .

دعا الإسلام إلى الصلاة وجعل ثوابها في جماعة أفضل من ثوابها على انفراد بسبع وعشرين درجة ؛ ليكون اجتماع المسلم بأخيه ، ووقوفه بين يدي الله إلى جانبه ، داعياً إلى التآلف والتآزر ، موجباً للتعاون والتناصر ، باعثاً على المحبة وصدق المودة ، قاضياً على ما في النفوس من حقد أو ضغينة أو نفرة .

كذلك أمر الله بإجتماع أكبر يعقد كل أسبوع ، يتذاكر فيه المسلمون في كل بلد غيرهم ، ومحاسنهم ، ويعالجون علمهم وأمراضهم ، ثم ينفض الاجتماع وقد اطمان كل إلى حال أخيه وزوده بالعظة النافعة ، أو اكتسب منه النصيحة الخالصة .

نلتبس هذه المعاني السكرية بما فيها من سمو وجمال وجلال وقداسة في الجمعة والعيد ، وتقوى هذه المعاني ، وتعظم العبرة فيها ، وتشرق المنافع منها في الاجتماع الأعظم ، والموقف الأكبر عند بيت الله ، الذي جعله مثابة للناس

وأمناء، وألف حوله القلوب، وجمع إليه النفوس، وحجب فيه أفئدة الناس، وجعلهم ينسجون إليه من كل صوب، ويفدون نحوه من كل فج عميق: ليشهدوا منافع لهم، ويذكروا الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام.

ودائماً لا يلتقي المؤمن الصادق بأخيه إلا استفاد منه حكمة نافعة، أو كلمة طيبة أو رأياً ناصحاً، أو تجربة في الدنيا، أو تبصرة في الدين.

وفي الحج يجتمع المسلمون من كل أطراف الدنيا، ويلتقي المؤمنون من جميع بقاع الأرض، وليس في القلوب إلا الطهارة الخالصة، والرغبة الصادقة في عفو الله ورحمته، فهو اجتماع ليس فيه تنافس على دنيا، ولا تواحم على باطل، ولا اندفاع إلى هوى، ولا انقياد لشهوة، وهو اجتماع تزول فيه الفوارق بين الكبير والصغير، والغنى والفقير، وتمون فيه قيمة الدنيا، ويصغر ما فيها من جاه ومتاع.

هنالك يشعر المسلم بالفروق الأرضية وقد زالت، والحوازر الجنسية وقد انمحت؛ فليس هناك إلا رابطة الإسلام، تسيطر على النفوس، وراية الدين ترفرف فوق الرموس، وغرض واحد يألف حوله جميع الناس، غايتهم الطاعة، وهدفهم العبادة، قلوبهم خاشعة، ونفوسهم ضارعة، يرجون تجارة لن تبور ليوفيهم أجورهم، ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور.

الحج مؤتمر إسلامي لم يدع إليه صاحب هوى، أو ذو غرض من الناس، يلتبس من ورائه جاهاً، أو يبتغي شهرة، إنما دعا إليه رب العالمين — وهو الغنى عنهم — ليتعرف المسلمون إلى ماضيتهم وحاضرهم، ويستعرضوا حالهم، وما تتطلبه من إصلاح، وتستدعيه من نهوض.

وقد جعله الله تعالى ركن الإسلام وتتمام الإيمان فقال: «ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً»، ثم قال: «ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين»، تنبيهاً للناس إلى أن عدم الحج مع القدرة عليه كفر أو بمنزلة الكفر.

فالله جل شأنه يقول: «وأتوموا الحج والعمرة لله، والرسول الكريم يقول: بني الإسلام على خمس: شهادة ألا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً».

فالإسلام ليسه وسماحته ، ورحته بالعباد ، ورفقه بالناس بنى جميع تكاليفه على السهولة واللين ؛ فلم يكلف أحداً بما يشق احتماله ، أو يعسر أدائه ، أو يتعذر فعله ، وما جعل الله عليكم في الدين من حرج ، ، لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ، فمن استطاع الحج فقد لزمه الفرض ، وتعلق به الواجب ، ومن لم يستطع فليس عليه إلا العزم الطيب ، والاتجاه الصادق ، والله يهيء له الأسباب ، ويمهد له الوسائل ويسدد الخطوات .

وتيسيراً على الناس ورفقاً بهم لم يكلفهم ربهم بالحج إلا مرة واحدة في الحياة مع القدرة والاستطاعة . خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « أيها الناس : قد فرض الله عليكم الحج فحجوا » . فقال رجل : أكل عام يا رسول الله ؟ فسكت حتى قالها ثلاثاً . فقال صلى الله عليه وسلم : لو قلت نعم لوجبت ، ولما استطعتم . ثم قال : زروني ما تركتكم : فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم ، واختلافهم على أنبيائهم ، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه ، .

إن بعض ضعفاء الإيمان يظنون أن الحج أمر ثانوى لا عقوبة في تركه ؛ لأنه صير الآداء كبير المشقة ، وفاتهم أن وجوبه كوجوب الصوم والصلاة ، وأن من تركه دون عذر قاهر ، لا يستطيع دفعه ؛ فعقابه صارم وذنبه عند الله عظيم .

وبعضهم يزعم أنه لا يستطيع الحج ويفسر الاستطاعة على حسب هواه ، ووفق ميوله : يكون في سعة من الرزق وبسطة من الديش والغنى ، ويظن أنه عاجز عن نفقات الحج . وفي الوقت نفسه يتنح نفسه ما تشتهى من المناعم واللذات ، وما تطمح إليه من الأهواء والشهوات ، عجز عن طاعة الله ، وإسراع وخفة إلى إرضاء الشيطان .

وبجانب هذا رجل لا يستطيع الحج ولا يقدر على أدائه ، ولكنه يندفع إليه رياء وتفاخراً ، والنمسا لحسن السمعة ، وجرياً وراء اللقب : يتعرض بالربا ويحرم من حرام ليحج وهو يعلم أن الحرام لا يوصل إلى ثواب ، ولا ينج إلا أسوأ العواقب .

إن الحج واجب على القادر الذي ليس في ماله شائبة من حرام ، فمن قدر عليه ثم نام عنه فإيمانه ناقص ، وعمله أتر ، وإذا مات لقي الله وهو عليه غضبان ! يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من مات ولم يحج فليمت إن شاء يهودياً أو نصرانياً » .

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : « لقد هممت أن أكتب في الأمصار بفرض الجزية على من لم يحج من يستطيع إليه سبيلاً » .
هذا مع أن الجزية لا تفرض إلا على من منع عن الدخول في الإسلام .

وكان بعض التابعين يقول : لو علمنا رجلاً غنياً ، وجب عليه الحج ثم مات ولم يحج ما صلينا عليه !

وبعض العلماء الصالحين كان له جاز من الأغنياء مات ولم يحج فلم يصل عليه !

قال ابن عباس رضى الله عنه : « من مات ولم يرك ولم يحج سأل الرجعة إلى الدنيا ، ولا قوله تعالى : « حتى إذا جاء أحدهم الموت ، قال رب أرجعون لعلى أعمل صالحاً فيما تركت » . كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون » .

رزقنا الله فهم ديننا والفقهاء فيه إنه سميع مجيب .

الجود

الجود صفة من أعلى الصفات رتبة ، وقد خصها الناس بالإجلال والإكبار في كل زمان ومكان ، لأنها أدل شيء على سمو النفس . ألا ترى أن قيس بن عاصم المقري المشهور بالجود ، لما وفد على النبي صلى الله عليه وسلم بسط له رداءه وقال هذا سيد الوبر . ولما توفي قيس قال فيه الشاعر :

عليك سلام الله قيس بن عاصم	ورحمته ما شاء أن يترحمها
تحية من ألبسته منك زئمة	إذا زار عن شحط بلادك سلماً
وما كان قيس هلكاً هلك واحد	ولم يكن بنيان قوم تهدما

من دول الاسلام :

الباكستان^(٥)

لحضرة الاستاذ عمر طلعت زهران
أستاذ في الآداب

[في اليوم الأخير من عام ١٦٠٠ م تكونت في إنجلترا شركة الهند الشرقية ، لتقوم بأعمال تجارية، انتهت باحتلال إنجلترا للهند ، بعد صراع عنيف مع البرتغاليين والفرنسيين والهنود . وفي الخامس عشر من شهر أغسطس سنة ١٩٤٧ صفت إنجلترا أمبراطوريتها، وخرجت من الهند ، التي انقسمت بدورها إلى دولتين : الهندوستان ، والباكستان]

تبلغ مساحة الباكستان ما يقرب من ٣٥٨ ألفاً من الأميال المربعة ، وهي مساحة تعادل مساحة فرنسا وإيطاليا وبلجيكا وهولندا معاً . أما سكانها فيبلغون حوالي ٧٦ مليوناً من الأنفس .

وتتكون الباكستان من إقليمين : الباكستان الشرقية والباكستان الغربية ، تقعان في الشمال الشرقي والشمال الغربي من شبه جزيرة الهند . تحتضن الباكستان الغربية وادي نهر السند وفروعه وروافده ، بينما تغطي أرض الباكستان الشرقية ، أدنى وادي نهر براهما بوترا . ويفصل الإقليمين عن بعضهما نحو ألف ميل من الأراضي الهندوكية ، كما توجد مقاطعة هندوكية^(١) غرب الباكستان الشرقية . وأغلبية السكان العظمى في الإقليمين من المسلمين ، وللاقليمين مصالح اقتصادية متكاملة ، وترتبطهما ، فوق ذلك ، روابط متينة من الدين والثقافة والعادات .

(٥) أخذت بيانات هذا المقال من « هذه هي الباكستان » ، Introducing Pakistan

نشرها المعهد الباكستاني للشئون الخارجية - كراتشي سنة ١٩٤٨ م .

(١) هي مقاطعة أسام ، تحدها التبت وبورما والبنغال وعاصمتها شيلونج ، وبها كثير من المسلمين .

الباكستان

٩٤٣

الباكستان الغربية : تقرب مساحتها من ٣٠٤ ألفا من الأميال المربعة ، ويبلغ سكانها حوالي ٣٣ مليونا ، وتتكون من مقاطعات البنجاب الغربية ، والسند ، وبالوخستان ، ومقاطعة الحدود الشمالية الغربية ، وعدد من الولايات والمناطق القبلية على حدود أفغانستان . وتعتبر ولايتا كشمير وجامو من الباكستان جغرافيا وثقافيا ودينيا ، ولكنهما اضطرتا إلى الانضمام إلى الهند على غير رغبة السكان فيهما .

والباكستان الغربية موطن عريق لل المدنية ، دلت الحفريات في بعض مدن السند وغرب البنجاب على قيام حضارة ، ازدهرت منذ خمسة آلاف عام ، عاصرت حضارات وادي النيل والدجلة والفرات . وبدأ اتصال هذا الاقليم بالغرب حينما غزاه دكسرى ، ملك فارس (٥٥٨ - ٥٣٠ ق . م) وضم إلى بلاده الاراضى الواقعة حول بيشاور . ثم أرسل دارا ، حلة بحرية إلى السند ، واستولى على اجزر كسيس ، على بعض الإمارات ، وظل الحال كذلك حتى القرن الرابع .

وعرفت أوروبا هذه المناطق حينما غزاها الإسكندر الأكبر ، فأخذت مكانها في أدب الإغريق وتاريخهم ، اخترق الإسكندر جبال هندكوش ثم نهر السند ، واستولى على الارض التى تعرف الآن باسم غرب البنجاب ، ونزل جنوبا في نهر السند حتى بحر العرب ، مبحراً إلى بابل .

وأعظم الحوادث أثراً في تاريخ وادي السند هو غزو العرب لها سنة ٧١٢ م . إذ نزل محمد بن القاسم أمير البحار العربى في دلتا السند ، ليقضى على القراصنة الذين كانوا يهددون تجارة العرب البحرية . ومنذ ذلك الحين بدأ الإسلام يسود جزيرة الهند ، وهى سيادة ظلت أكثر من ألف عام ، حتى جاء الإنجليز ، وظلت الباكستان الغربية طيلة هذا الزمن تحت الحكم الإسلامى ، عدا فترة وجيزة ، حكم السيخ فيها أرض البنجاب . وسادت الثقافة والعادات الإسلامية هذه المناطق وما زالت قائمة عزيزة الجانب

واعتنق الكثيرون من الوثنيين الإسلام ، وتزايد عددهم ، وانضم إليهم المسلمون الذين جاؤوا عبر الحدود في جماعات كبيرة ، كان يدفعهم إلى الهجرة ،

عدم الاستقرار في أواسط آسيا ، بسبب غارات المغول ، كما كان يحىء مع كل غاز مسلم : جنوده ومرافقو جيشه ، وكلهم مسلمون ، أقاموا جميعاً في هذه الأرض الطيبة ، كما وند على هذا الاقليم الكثير من العلماء : والعرب إذ ذاك هم قادة العالم وحداته : فنا وعلماً ومدنية ، ومن هنا صارت أغلبية السكان العظمى من المسلمين حتى بلغوا -حوالى ٧٦٠٥٪ من عدد السكان سنة ١٩٤٧ ، وإن كانت هذه النسبة قد ارتفعت نتيجة لهجرة الهندوس منها ، وهجرة المسلمين إليها .

وأرض هذا الاقليم خصبة ، من أغنى الأراضى الزراعية ، يسكنها قوم أقوياء البنية ، ملاح الوجوه ، كرام النفوس ، فلا حون يمتازون ، وجنود لا يضارعون .

وأهم مدن الباكستان الغربية هي : كراتشى ، عاصمة إقليم السند والباكستان جميعاً ، من أهم موانئ آسيا يسكنها حوالى المليون ، وتربها عدة خطوط جوية حيوية ، وفيها جامعة كبيرة بها كليات للآداب والعلوم والهندسة والطب والزراعة ، وتلقوها فى الأهمية : لاهور ، عاصمة مقاطعة غرب البنجاب : ثم ديشاوار ، وفى كلتيهما جامعة كبيرة .

مرآة تحقيق قديم علومى

الباكستان الشرقية : تشمل مقاطعتى البنغال الشرقية وسيلمت ، وتزيد مساحتها قليلاً عن ٥٤ ألف ميل مربع ، وسكانها ٤٤ مليوناً ، ٧١٪ منهم من المسلمين . خضع هذا الاقليم لمؤثرات عدة على مر التاريخ ، بدأت بالمدينة الصينية ، ثم أقام فيه الهندوس والبوذيون قبيل العصر الإسلامى ، وانتشر الإسلام فيه لنفس العوامل التى أدت إلى انتشاره فى الباكستان الغربية . وظهر أثر الإسلام قوياً واضحاً ابتداء من القرن الثالث عشر الميلادى حين غزاها قائد من قواد قطب الدين أيلك أول ملك مسلم لامبراطورية دلهى ، وظلت تحت الحكم الإسلامى - منذ ذلك الحين حتى جاءها الانجليز سنة ١٧٥٧ م - ، سواء كمملكة مستقلة ، أو مقاطعة فى امبراطورية دلهى .

والباكستان الشرقية على الرغم من التلال التى تكتنفها شمالاً وشرقاً ، أرض سهلية تروىها مياه براهما بوترا وفروع نهر الكنج ، وتسقط عليها أمطار غزيرة ،

تكدو أرضها الخضرة طول العام فتكسبها منظراً بديعاً فاتناً ، وتنخر أنهارها السفن ، ويعيش الاملون في قراهم على الزراعة وصيد الاسماك . وأهم المدن في هذا الاقليم هي ، داك ، ، ثم ، شيتاجونج ، في خليج البنغال .

• • •

الإسلام دين توحيد ، لا يعرف النظام الكهنسي ، وليست به هيئة كهنسية ، من أهم تعامله الإخاء ، فلا يعرف نظام الملبودين ، ويتميز بما فيه من تسامح ديني عظيم . تجلى هذا التسامح في أيام الرسول عليه السلام ، وتميز به المسلمون بعده ، في كل مكان ، وحينما ما تلقاه الأقليات المسيحية في البلدان الإسلامية من معاملة ، يساون فيها مع المسلمين في الحقوق والواجبات .

طبقت الباكستان هذا المبدأ الديني أروع تطبيق ، حينما وقف رتبها الراحل ، محمد علي جناح ، أكرم الله مثواه ، يعلن أنه لا يفرق بين الناس بسبب الدين أو الطبقة أو اللون ، وأنه سيكون للباكستانيين جميعاً نفس الحقوق وعليهم نفس الواجبات .

الجود

ما أطلق أئمة الشعراء ، وألهمهم روائع الماساني مثل الجود . قال القاسم ابن عيسى في أبي دلف العجلي من أهل القرن الثالث الهجري :

تكد عطاياه يحن جنونها إذا لم يموذها بنعمة طاب
تكد مغانيه تهش عراصها فتركب من شوق إلى كل راكب

وقال أبو الطيب المتنبي في بدر بن عمار :

طربت مراكبنا نخلنا أنها لولا حياء عاقها رقصت بنا
لو تعقل الشجر التي قابلتها مدت محبة إليك الاغصنا

وقال البحتري :

لو أن مشتاقا تكلف فوق ما في وسعه لمشي إليك المنبر

كنز الادب الفاطمي

لحضرة الاستاذ محمد حسن الاعظمي

عميد كلية اللغة العربية بالباكستان



تقوم دار الكتب الملكية الآن بطبع ديوان الامير تميم ابن المعز لدين الله الفاطمي باني القاهرة ومشيد الازهر ، وهذا الديوان كنز من كنوز الادب الغالية ، استطعت أن استخرجه أولا من مكتبة الفاطميين المحفوظة في الهند لدى خلفائهم وورثتهم ، وهم أحفاد أولئك الذين حملوا تراثنا وفيرا من العلم والادب إلى هذه الاقطار بعد انهيار الدولة الفاطمية في مصر ، وتغلب الدولة الايوبية على البقية الباقية منها . وقد عاش هذا التراث بين جبال اليمن عدة قرون ، ثم رأى هؤلاء الحافظون لركة الفاطميين أن يغتربوا بها في أرض لا يعرف أهلها العربية ؛ وذلك لكي يبقى هذا الكنز بعيدا عن متناول الايدي ، مجهول القيمة والقدر حتى لا يفتن اليه أحد ، فيصيبه ما أصاب غيره من الكنوز التي تبددت بين تلاعب الايدي وعبت الرواة وتحريف الناقلين ، وقد دفعني شغفي بالبحث وحبي للاطلاع إلى أن أجوب معاهد الهند ومكاتبها الموزعة بين طوائفها المختلفة ، ولم يكن يعنيني من ذلك كله سوى محاولة العثور على وثائق تاريخية أو أدبية يفيد منها المعنيون بالدراسات الاسلامية ، وكانت مملكة الفاطميين الصغيرة في الهند احدى المناطق التي زرتها واختلفت اليها ، وأمكنني أن استنسخ منها عددا من المخطوطات الهامة ، والكتب العلمية الاثرية مما صنفه ملوك الفاطميين ووزراء الدعاية في دولتهم ، فن منشورها محاضرات المؤيد الشيرازي الثمانمئة التي ألقاها بالازهر منذ ألف عام ، وهي نماذج رائعة في الادب الكلامي وبلاغة النثر العربي ، والحوار المنطقي والفلسفي ، ومن منظومها ديوان هذا الامير الذي يتسكني باسمه

المعز لدين الله إذ يقال له أبو تميم ، وكان لهذا العاهل الفاطمي الأول في مصر أبنان أكبرهما تسنم دولة الشر ، وكان أصغرهما ولي عهد أبيه وهو العزيز بالله . وقد أتبع لي أن أراجع ديوان تميم هذا على سبع نسخ مخطوطة أخرى ، ثم كان لزاما علي أن أقوم بشرح وتعليق لبعض المصطلحات والألفاظ الغريبة ، وأن أضع للكتاب مقدمة مسببة تكشف النقاب عن تسلسل هذه الدولة الفاطمية إلى أن شكلت حكومتها في القاهرة .

أما الديوان نفسه فهو قبل كل شيء صورة من الادب المصري ، فيه الخصائص المصرية بتقدم ما فيه من الخصائص العربية ، فهو شاعر مصري صميم . وإن لم يكن مصري المولد والنشأة والتربية .

يرى المتتبع هذا الديوان أسماء لمواطن وأوصافا لجهات معروفة بالقاهرة وضواحيها حتى اليوم ؛ كما يكشف هذا الكتاب عن الحالة الادبية في العصر الفاطمي ، وكذلك المذاهب الإسلامية والحوار المذهبي في ذلك العهد ، والاحتفاظ بهذا الديوان ضروري للتاريخ والادب المصريين ، ولا سيما إذا عرفنا أن العصر الفاطمي قد ذهبت آثاره ، وانطوى سجل التاريخ على مخططاته ، فلم يفتح إلا على القليل منها . فقد تقرأ في المصادر التاريخية أن مائة من الشعراء هأأوا أو رثوا أو مدحوا أحد الخلفاء الفاطميين ، ثم لا تجد هؤلاء الشعراء ولا أشعارهم فقد أحرقت مكتبات وضاع بعضها بين تموج الحوادث وأعاصير الانقلاب السياسي ، فكل ورقة تعثر عليها الآن تعد ذات قيمة غالية بالنسبة لموضوع الادب المصري بالذات ، وهذا هو الذي دفعني لتقديم الكتاب إلى الحكومة المصرية ، بمناسبة العيد الالفي للقاهرة والأزهر .

وقد عينت الحكومة منذ اثني عشر عاما لجنة من أعلام الادب في مصر لمراجعة هذا الديوان ، ثم انتهى الأمر باقرار طبعه ونشره ، وتولت دار الكتب القيام بذلك ، ولم يحل دون اتمام الطبع ، وإنجازه سوى أزمة الورق أثناء الحرب الاخيرة ، وكانت تلك اللجنة الموقرة مشكلة من الدكتور عبد الوهاب عزام بك ، والدكتور طه حسين بك والاستاذ أحمد بك .

ولما عدت إلى القاهرة لتشكيل فرع لمؤتمر العالم الإسلامي الدائم ، رأيت

أن أضيف إلى عمل لخدمة الإسلام جهداً أدبياً آخر، وهو أن أذكر إدارة الكتب بمعاودة العمل على نشر ديوان تميم، وقد أبدت دار الكتب نشاطاً ملحوظاً في استئناف طبع الديوان . وقطعت في ذلك شوطاً كبيراً ، ولعل في هذا ما يبعث الطمأنينة إلى من ينتظرون صدور هذا الكتاب سواء أكانوا من الحريصين على ترقب كل جديد من الأدب المصري ، أم كانوا من طلبة كلية الآداب باعتباره مادة من موضوع الآداب المصري ومثالا من إنتاج القومية المصرية ؟ فإني أول من يرى في هذا الديوان ظاهرة جديرة بالنظر، وهي أن تميم مع كونه نشأ في بلاد المغرب وتلقى ثقافته الأولى في عهد آبائه وأجداده نراه ما يكاد يحل بمصر حتى تصبح وطنه وأشجود آماله وأغنية أحلامه وقبلة تفكيره . فكأنه قد نسي كل شيء في وجوده لينذكر شيئاً واحداً هو أنه في مصر التي يعيش بها ، ويترجم عن حبه لها وشعوره بحمال الحياة فيها .

وإلى أن يجد القارئ هذا الديوان منشوراً ، فإني أضع بين يديه هذه النماذج دون تعليق أو شرح استكمالاً لهذه العجالة القصيرة التي قدمتها للتعريف بتميم .

قال الأمير يصف القرافة ويتضرع إلى الله :

إذا كنت مصطفىاً مربماً	نقص القرافة (١) بالاصطفاء
منازل معمورة بالنفاف	ومخصوصة بالقي والهاء
كأن التعبير لها تربة	تضوع في صبحها والماء
ولا خيرة في حياة امرئ	إذا لم يخف فصل يوم القضاء
رجوتك يا رب ألا أنسى	أطعنك طوع أولى الانتهاء
والكنى مؤمن موقن	بأنك رب الورى والسماء
وما لي يا رب من شافع	إليك سوى خاتم الانبياء

(١) القرافة في الأصل بطن من المعافر بن يعفر بن الحارث بن مرة . وعامة المعافر بمصر ، ولهم حجة تعرف بالقرافة وهي على إمام أصم (شرح القاموس مادة قرف) . وجاء في ابن خلكان : ومن بني غائق بطن يعرفون بالقرافة سكنوا أسطح المقطم أيام الفتح العربي ، ثم تروا أماكنهم وتفرقوا في البلاد المصرية ، وصار مكانهم مقبرة للمسلمين . فسميت المقبرة في مصر نسبة لهؤلاء القوم .

وقال أيضاً :

حارب الناس قبلنا الاعداء حين كانوا أعزة أكفاء
أترانا أذلة ومن اللؤم م بنا أن ننازل الجبناء
هل تروم الثعالب الليث أم هل تطمع الأرض أن تطول السماء
لا ومن صير الأئمة من نسل وصى النبي لي آباء

وقال يمدح العزيز بالله أخاه :

لكل ملك من الورى شبه وما أرى للعزيز أشباها
أقول يا مالك المملوك ولا أقول في مدحه مهنشاه
سمى وطال النجوم مبتدئا بهمة يستقل مسعاها
نفس كأن السماء مسكنها وهمة كالزمان أدناها
دانت الأرض والعباد معاً والوحش في وعرها وصحراها
فهو لسان التقى ومقلته وهو يمين العلاء وبسراها
صور من جوهر النبوة إذ كان الورى طينة وأموها

وقال يمدح الخليفة المعز لدين الله في وقت تمام عمل الشمسية لبيت

الله الحرام :

إليك مدت رقابها العرب والملك ماء عليك منككب
وأنت من دوحه النبوة لا تألف إلا عذاتك الريب
وحبذا الشمسية التي نصبت يقصر عنها المديح والخطب
كأنما درها وجوهرها نجوم ليل سماؤها ذهب
كأنما رصعت مناقبك الغـ ر عليها وأفرغ الحسب
في كبد المسجد الحرام لها شوق ولبيت نحوها طرب

كلمة الحق

لفضيلة الاستاذ الشيخ على حسن العماري
المدرس بالمعهد العلمي بأم درمان

لا أجد شيئاً في هذه الحياة طيب الذكر ، حسن السيرة ، طاهر الذيل ، كثير النفع قليل الضرر ، جميل الوجه ، سامى النفس ، وهو مع ذلك يلاقى من ظلم الناس وشرهم ، وبغضهم له ، وكراهيتهم لوجهه الجميل ، ونفورهم من روحه السامية ككلمة الحق ؛ كل يدعى وصالحاً ويزعم أنه متم في هواها ، يحبها ويؤثرها ويمجدها ويقدمها ، فإذا وقفت في سبيل أغراضه ، أو اعترضت طريق نظامه وأهوائه كرهها أشد الكراهية ، ومقتها أشد المقت ، ولا ينسى في هذا الوقت نفسه أن يشيد بحبه للحق ، وخضوعه له وإيمانه به .

والناس — إلا أقامهم — يعيشون بعيداً عن هذا الوجه الجميل ، وهذا العبير الحبيب ، لأن أكثر أغراضهم وميولهم وأهوائهم — وعليها يعيشون — لا تتفق والحق ، ولا يجمعها معه طريق وهم يخوضون البساطل إلى أغراضهم خوضاً ، لا يبالون أين وقعوا .

والمحبوب عندهم الأثير لديهم هو الذي لا تجرى كلمة الحق على لسانه ، ولا يخطر معناها الجميل في قلبه ، فهو إذا قدس أعمالهم ، وآمن بهواهم ، واخترع لهم المحامد والمكارم وتكذب وافترى ، وزين كل عمل يعملونه ، وحارب كل رأى يحاربونه ، إذا كان كذلك فهو الظريف اللطيف المذهب ، أما إذا كان يسير على نهج قويم ؛ ويجرى في قوله وفعله على خط مستقيم فلا يصف الليل في السرار بأنه يسطع بدره ، ويشع نوره ؛ ولا ينكر على شمس الصيف نارها ونورها ولا يقول في الشيء إلا ما فيه ، ولا يعطيه من الثناء أكثر مما يستحق ؛ إذا كان كذلك فهو ثقيل الظل ، سىء الخلق ، ضعيف التربية فاسد الذوق ، يجب أن يطرح قوله ، وأن تجنب معاشرته ، وأن يكادله عند من يملك أن يبطشوا به ؛ حتى يستقيم على الجادة ، ويعرف كيف يحترم الناس ، ويحسن الأدب معهم .

وإذا كنت ممن يحبون الإنصاف ، ويؤثرون العدل ، ويؤمنون بالأخلاق الفاضلة ، فجعلت تنافح عن هذا الرجل ، وتجادل دونه ، وتبرر عمله ، وتشد أزره ، رموك بالهوى والغرض ، والمساعدة على إفساد الأخلاق ، ثم قالوا لك : الناس كلهم كذلك فلماذا يشذ هو ؟ أهو — وحده — الذى يغار على الحق ويعرف قدر العدالة ، وما دام الزمن يسير على رأسه ، فلماذا يحاول هو أن يسيره على رجليه ؟ وإذا كان الناس يعبدون عجلا فلماذا لا يقدم له الطعام مع المقدمين ؟ ولا ينسون أن يتسولوا لك : يدا الله مع الجماعة وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية ... وهكذا

وقد تجد رجلا عيية جهل ، ومستنفع فساد وإفساد ، قد اتخذ الادعاء والتدجيل طريقا للشهرة ، يدعو الناس فيؤمن به كثير منهم ؛ ويسخرهم فى أغراضه ، فيلبون بإيمان عجيب . فإذا جملك وإياه مجلس لا يبالي بك مهما كنت خبيراً بشئون الحياة ، عارفا بأغراض النفوس ، مسلحا بأنواع العلوم والمعارف ويبدأ بدجل ريشعوذ ، ويزعم لنفسه الفضائل ؛ ويحيطها بهالة من النور والقداسة ، فإذا ضاق صدرك ونفذ صبرك ، وقلت له : يا هذا . نحن فى عصر النور والمعرفة ومثل هذا الأسلوب إن جاز على بسطاء العقول فلا يجوز أمام المثقفين العارفين ، إذا قلت ذلك لا تشعر إلا وأنت مرفوع على الأيدي ، ملقى على قارعة الطريق ! ومن عجب أن بعض الذين حصلوا قدراً من العلم ، لا يزال يحمل الطريق الصحيح الذى يؤدى إلى احترام الناس ، وإكبارهم .

ترى الواحد من هؤلاء لا يكاد يعترف بغير ما يقوله هو ، فإذا ناقشته فى مسألة علمية ، أو جادلته فى ظاهرة اجتماعية فالقول قوله ، والحق ما ينطق به لسانه ، ومهما برهنت له على خطئه ، ومهما سقت من الحجج على وجهة نظرك فإنك لست بمزحرجه عن موقفه ، وكيف يخضع لرأبك ، أو يعترف بأن الحق معك وهو عند نفسه أعلم الأولين والآخرين .

وربما أدهشك وأنت تسمعه يجادل أن ينصرف عن الحق ، والحق كفلق الصباح ، وأن يتمسك بالباطل ، والباطل يصيح به أنه الباطل ، وترجع إلى نفسك وتسائلها ، كيف يتف هذا الرجل مع علمه وفضله ، مثل هذا الموقف الخجل ، ولكنك تذكر لساعتك قصة ذلك الرجل الذى كان يسير مع أحد أصحابه فرأيا

حيوانا بعيداً عنهما ، فقال صاحبه : هذه إوزة ، وقال الرجل : بل هي عنزة . وتجادلا طويلا ، وكل منهما يصصر على قوله ، حتى وصلا إلى الحيوان فهاجه الصاحب فطارت الإوزة ، فالتفت إلى الرجل قائلا : أصدقت أنها إوزة ؟ وظن أنه بذلك ألزمه الحجة ، وأوقفه على الدليل ، ولكن الرجل قال في برود ظاهر : عنزة ولو طارت !

وهكذا شأن هذا الصنف من الناس لا تطلع فيهم أن يرجعوا إلى الحق ، ولو جهدت جهدك ، وحملت نفسك مالا تطيق في سبيل إقناعهم .

على أن هذا التمسك بالباطل لا يعود عليهم بفائدة ، بل بالعكس يجلب عليهم احتقار المتصفين وسخريتهم ، ولعل أعجب ما في الأمر أنهم يتمسكون بالباطل ، وهم على يقين من أن مجادهم يدرك كل الإدراك أنهم يتمسكون بباطل ، ولا يحتاجه أدنى شك في أنهم يخضعون لشهوة المراء ، وحب الغلب ، ولو في الظاهر .

ويظهر أن هذا الصنف من الناس قديم الميلاد ، وجد في كل عصر ، عاش فيه علماء لم يطلبوا العلم لله ، ولم يؤمنوا بأن فوق كل ذي علم عليم ، وأن الحق أحق أن يتبع ، ولذلك نجد الإمام الجليل أبا حامد الغزالي ، رحمه الله تعالى يحدثنا عن هذا الصنف ، وهو يتحدث عن شروط المناظرة النافعة المفيدة التي هي من شأن العلماء العاملين فيقول : « أن يكون - يريد المناظر - في طاب الحق ، كناشد ضالة ، لا يفرق بين أن تظهر الضالة على يده أو على يد من يعاونه ، ويرى رفيقه معينا لا خصما ، ويشكره إذا عرفه الخطأ ، وأظهر له الحق ، ومناظر زماننا يسود وجه أحدهم إذا اتضح الحق على لسان خصمه ، ويخجل ، ويجهل في مجادته بأقصى قدرته ويذم من أخفه طول عمره ،

أليس هذا الصنف جديراً بأن تكرمه ، وأن تحتقره ، وتسخر منه ما وسعتك الكراهة والاحتقار والسخرية ، ثم أليست هذه الكراهة تزداد إذا علمت أن هذا المناهض للحق هو من يفخرون بنصرة الحق والذب عنه ؟

لقد قال حكيم العرب أكرم بن صبي : إن قول الحق لم يترك لي صديقاً . ومن قبله قال فليسوف اليونان لصاحبه : أنت صديقي ، والحق صديقي ، ولكن الحق أحب إلى منك .

لمحة في التشريع المقارن

لحضرة الأستاذ نحر الدين صاحب
خريج الأزهر وجامعة باريس

١ — نظرية الحق المكتسب في الاحكام الجزائية في الوقت الحاضر .

لقد ازدهرت في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين في أوروبا مدرستان هما المدرسة التقليدية ، والتقليدية الحديثة ، ووقفنا بجانب الفرد ضد المجموع ، ووقفت من جهة أخرى المدرسة الوضعية تخالفاً للرأى في ذلك ، وذهبت إلى تفضيل حق المجموع على حق الفرد ، وإن الذين غالوا بهذه الفردية توصلوا في مغالائهم إلى النظرية المسماة بنظرية الحق المكتسب (Teorie de droit acquis) ^(١) التي تحتم احترام الاحكام الجزائية حتى ولو كانت مبنية على الخطأ إذا كان ذلك في صالح المتهم وفقاً لنظرية القضية المحكمة (Respect de la chose jugée) وقد اعتبروا أن للنتهم من هذا الحكم حقاً مكتسباً ، ولم يقبلوا إلا النقض لمصلحة القانون ، وقد أخذ التشريع السوري المعمول به الآن بهذه النظرية في المادة (٣١٥) من أصول المحاكمات الجزائية التي تنص على أنه : عند براءة المتهم يسوغ أن يطلب المدعى العمومي نقض الإعلام المتضمن الحكم بذلك ، ونقض ما حواه من المعاملات والتحقيقات بوجه التمييز ، وذلك لمجرد إحسان مجرى القانون على شرط أن لا يطرأ خلل على حكم البراءة .

وكذلك المادة (٣٤٧) و المادة (٣٤٨) من نفس القانون ، والمادة (٤٤٢) من أصول المحاكمات الجزائية الفرنسية أخذت بنفس النظرية ، فقد جاء في شرح المادة (٣٤٧) لسليم بازمائاني ^(٢) : إن نقض الإعلام بالاستناد إلى هذه المادة لا يمكن أن يؤثر فيما اكتسبه المحكوم عليه ، وصار حقاً مقررأ له بمضى المدة القانونية ، ولكنه يؤثر فيما سوى ذلك وبالأخص فيما كان عائداً على المتهم بالضرر

(١) قانون الجزاء للاملاء جارد (R. Garraud) الجزء الخامس ص [٥٤٨] .

(٢) ص (٨٤٦) .

وعلى هذا لو نقض الإعلام لأن الجزاء المحكوم به أخف من الجزاء القانوني، أو لأن المحكمة برأت المظنون فيه أو حكمت بعدم مسؤوليته، فلا يمس الحكم بل يبقى على حاله لأن ما أولاه المحكوم عليه أصبح حقاً مقررأ له باكتساب الحكم الدرجة القطعية، فلا يجوز أن يساب منه، أما لو كان نقض الحكم مقيداً للمحكوم عليه فيمكنه أن يستفيد منه لأن من شأن القانون أن يتلافى الظلم ولو رضى به المظلوم.

٢ — نظرية الحق المكتسب في الأحكام الجزائية في الشريعة الإسلامية .

إذا ألقينا نظرة خاطفة على الأسباب الداعية لوضع هذه النظرية؛ لذهبنا إلى عدم صحتها وأجحافها بحق المجموع، ولقمنا بمخالفتها للمنطق والقياس، وقد ذهبت خطأ إلى القول إلى أن علماء الإسلام ورجال التشريع منهم لم يذهبوا إلى الأخذ بهذه النظرية^(١) إلا أنني قد توفقت الآن إلى نصوص تثبت عكس ذلك، وتشير صراحة إلى أن الشريعة الإسلامية، تدن هذه النظرية بالفعل، فهي إذن تحترم الأحكام الجزائية حتى ولو كانت مبنية على الخطأ، إذا كان ذلك في صالح المتهم وفقاً لنظرية القضية المحكمة، وأتني لتبيان ذلك أورد مادار في إحدى القضايا المشهورة في صدر الإسلام، والتي قضى فيها محمد بن عبد الله بن عبد المطلب النبي الأمي .

فقد أخرج البخاري وأبو داود والترمذي عن ابن عباس رضى الله عنهما، أن هلال بن أمية قذف امرأته عند النبي صلى الله عليه وسلم بشريك بن سحمان، فقال النبي : « البينة أوحد في ظهرك » . فقال بارسول الله : إذا رأى أحدنا على امرأته رجلاً ينالني بالنميمة ؟ ، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « البينة أوحد في ظهرك » .

فقال الرجل — « والذي بعثك بالحق أنني لصادق، ولينزلن الله تعالى ما يبرى ظهري من الحد » ، فنزل جبريل عليه السلام وأنزل عليه ، والذين يرمون أزواجهن ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم، فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين، والخامسة أن لعنة الله عليه أن كان من الكاذبين، وبدرأ عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله أنه لمن الكاذبين، والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين، الآية .

(١) راجع ما كتبه في مجلة نقابة المحامين بدمشق أيلول سنة ١٩٤٧ ومجلة الأزهر سنة ١٩٤٨ .

فانصرف النبي صلى الله عليه وسلم فأرسل اليهما ، وجلس للحكم ، — فجاء دلال بن أمية فشهد والنبي صلى الله عليه وسلم يقول ، الله يعلم أن أحداً ، كاذب فهل منكنا نائب ، ... ثم قامت الزوجة فشهدت ، فلما كانت عند الخامسة أوقفوها وقالوا لها : إنها موجهة ، قال ابن عباس — ، فتلكتأت ونكصت وظننا أنها ترجع ثم قالت ، والله لا أفضح قومي سائر اليوم ، فضت فقال النبي صلى الله عليه وسلم ، أبصروها ، فإن جاءت به أ كحل العينين ، سابغ الإليتين خدج الساقين فهو لشريك ابن سحماه ، فجاءت به كذلك ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم — : لولا ما مضى من كتاب الله تعالى لكان لي ولها شأن ، — اهـ .

ففي هذه القضية إشارة صريحة إلى أن المحكمة إذا فصلت دعوى جزائية وانتهى أمر النظر فيها ، لا يمكن رؤيتها مرة أخرى حتى ولو ثبت عدم صحة ما دار فيها من التحقيقات والافادات أثناء المحاكمة ، فقد جلس نبينا محمد بن عبد الله للحكم في هذه القضية ، وطبق قانون السماء الوارد في آية اللعان ، وكان أحد الطرفين في الدعوى عند رؤيتها وفصلها كاذباً لا محالة ، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم — ، الله يعلم أن أحداً كاذب فهل منكنا نائب ، — فالزوج يجب عليه حد القذف إن كان كاذباً بما رماها به من الزنا ، والزوجة يجب عليها حد الرجم إن كانت غير صادقة في إيمانها ، وقد تأيد كذب الزوجة بعد اكتساب الحكم الدرجة القطعية ، ومرور (٩) أشهر ونيف على انتهاء القضية حيث ثبت أن الزوجة هي الكاذبة ، لأن الولد كان لشريك لا لهلال ابن أمية ، ومع ذلك لم يقبل النبي صلى الله عليه وسلم أن يعيد المحاكمة ، ويقيم عليها الحد ، بل ذهب إلى عكس ذلك ، واعتبرها قضية محكمة ، وقضية مقضية واحترم اكتسابها الدرجة القطعية ، رغم أن ثبوت الكذب والخطأ بها ، وقال كلبته المأثورة : لولا ما مضى من كتاب الله تعالى لكان لي ولها شأن ، الحديث .

وهكذا يكون الإسلام قد سبق علماء الغرب ومحاكمها في هذه النظرية ، وطبقها بالفعل قبل ألف سنة ونيف ، حين قال النبي صلى الله عليه وسلم ، لولا ما مضى من كتاب الله تعالى لكان لي ولها شأن ، وأنى سأطرق حكمه مشروعية هذه النظرية عند المسلمين في بحث مستقل والله أعلم .

الشعر والحياة

بقلم الشيخ سعد الدين موسى كله

بين الشعر والحياة صلة وثقى وعروة لا انفصام لها . . . ولا أكون مبالغاً إذا قلت : إن الشعر ميزان الحياة ومفتاحها . . . فالشعر وتذكر وتفتح آفاق شخصيتك على معالم الكون وما فيه من روائع ومباهج ؛ فما أنت بحى وإن عدت في سجلات الأحياء ! . . . ومن هنا كان الشعر مشتملاً من الشعور ، وهو منطقة الحساسية الدافقة الدقيقة في الإنسان ، ومن هنا كان الشاعر الفنان المجيد هو الشخص المثالي ، الذى تنف بحرمة عرائس الخواطر وزهور المعاني ؛ فتداعب خياله وتستنزل وحيه ؛ فيتدفق إحساسه ، ويتفتح ذهنه الولود عن الغواني الأبنكار من الأغاريد والتصورات والأفكار . . . ومن هنا أيضاً كانت رسالة الشعر هى تطهير الغرائز من أدرانها المادية ، وعلائقها الترابية ؛ حيث تسبح بالنفس فى أجواء سامقة من الملائكية والأمثلة العليا ، ثم إلهام الأفتدة الحزنية ، والكبود المحترقة على سفود الحادثات بما تطوى بين جوانحها من ترويض ، وانبساط ومتعة وعذوبة ، وتسليه وترفيه ، وسمو وإشراق ، ومرح وانطلاق . وأحسب أنه من الخطأ أن يقال إن الشعر بمعناه العام ، وهو الإدراك والإحساس ، أو التخيلات والخاطرات مقصور على نثمة من البشر . . . كلا . . . فإن بناييع الشعر كائنة فى كل إنسان ، مودعة بوساطة يد الخلاق العليا فى الصدر والجنان . . .

ألا تبسط أسارير الناس جميعاً إذا فوجئت بقباً سار ، أو حديث مبهج ، أو فكاهة حلوة أو نكتة بديعة ؟ . ألا تنقبض الصدور وتكاح الأوجه ، وتنجم العيون إذا دهمتها نازلة من بنات الأيام أو مسها القضاء بقرح ؟ . . . ولكن لما كان عامة الناس لا يستطيعون التعبير عما يحيش بنفوسهم من أفراح وأتراح بلغة ذات ألفاظ وأصوات ، وحروف ومعان يترجمونها عن خاطر

والوجدان . ، وكان تعبير العقل الساذج إذا ابتئس أو طرب هو الاكتئاب والبكاء ، أو الرقص والانتشاء . . . كان من الضروري وجود طائفة أخرى أقوى شعوراً ، وأسمى إدراكاً ، حلمت في سماء الخيال ، وغاصت في مناجم الحقيقة ، وضربت بسهم في البلاغة والفصاحة ، واطلمت على منارف الحكماء ، وثمرات القرائح ورياض الأدب ؛ فصقلت حواشيها وصفت مرآتها ، وترقرق بماء الجمال والبهاء أسلوبها ، وتنضر بنضرة القديم بيانها ، حتى ذهب عنها ما كان يعروها من حُسْبَةِ واستغلاق ، وعيٍّ وحصر فأضحت ذات ملكة راسخة متغلغلة في الأعماق ، تنقبل من اللقاح الفكرتي الخصب ما يشحن قواها ، ويجمع قوتها ، ويحفظ عليها شبابها وجذتها . . . هذه الملكة تفتتح بعدد عن براعمها وأكامها ، فتؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ، وتجود على الظالمين بحلو ربها ، وثمار غرسها ، كشجرة طيبة تؤدى رسالتها في صمت الفيلسوف الناطق ، ووقار الشيخ الماسك ! .

ولا نحسب أنى أغرب عليك ، فإنها ملكة الشعراء رسل الخيال وأنبياء الجمال ، يحبون مسرح الحياة فيحسون آلامنا فيصورونها به واطعمهم ، ويلونونها بربشتم فتبكي النبي والمنطيق ، والجامعات من السكائنات ، ويشعرون بآمالنا فيسجلونها على أسطوانة مخيلاتهم ليهذبوا من أطرافها ، وبعددند يصوغونها في عبارات مشرقا كأنها الروحانيات العلوية أو التسابيح الفجرية ! .

وما الشعر إلا روح عنصره المادة أو مادة عنصرها الروح ؛ إذ هو الوثبة السماوية الخاطفة . أو اللعة البرقية السارية في خنايا الضلوع الإنسانية ، تصهرها في بوتقة الفكر ، ثم نضعها في قالبها اللغوي المصنوع لها لتخرج إلى الناس بشراً سوياً ، وتطلع عليهم كائناً حياً . . . ومن أجل ذلك كان الشعر الرفيع الحى هو هذا الكلام الطلى المشرق الحى . العطر الاردان ، الجليل المعطف الصافي البشرة ، سواء كان موزوناً مقفى ، كما اشترط الاولون أم كان منطلقاً حراً أياً على القيود والسدود ، متمرداً على الوزن والتقفية . . . بيد أن الشعر لما علم أنه شقيق الموسيقى بما له من رنات وأصداً ، ونغم وتوقيع ولحن وتطريب وحسن أداء وجميل إلقاء ، كان من تمام هيكله ، وتحسين هيئته ، وبديع أمره أن يكون حبيس الأوزان والقوافي ، لا سيما شعر المرح والانشاد ، والمطارحة والشدو والغناء .

وبعد فالحياة هي الشعر ، والشعر هو الحياة : فكان شاعرا متحميا وتخلد في الخالدين ، واعلم أن الشمراء بيننا هم أول من يغبط ويستحق الحياة ، لذلك كانت مرتباتهم فوق أجواز الفلك ومناط الثريا ، وإن كانوا بيننا يسعون على الارض ، يأكلون الطعام ويشربون الماء ويمشون في الاسواق .

وما قيمة الوجود في نظرة البصير إذا كان كله أشواك جوارح لازهور فيها ؟ . والشاعر هنا هو الزهرة الغضة التي تنضج بالنظر الأفيج ، والحسن الأسر ، والروض الباسم الغرد ، إذا صافح هزازه ، وتناول قيناره ، وجمع حوله بلابله وأطيّاره .

ولامر ما نرى الله على جامدى العواطف ، من متعجري الفكر وراكدي الإحساس غفلتهم ، وإلغاءهم عقولهم عن اجتناء وحدانيته من وراء سطور المكون ، وهو كتابه العريض الأعظم ، وضلالهم وعمائتهم عن آياته الشاهدات بقدرته الناطق بموته ، فدعوا من دونه أحجاراً خرساً لا ينبغي للفكر الشاعر ، أو الحس المفكر أن يشعر حيالها برهبة أو سلطان ! . نعم عليهم ذلك فقال لصفوة دعائه صلوات الله وتسليمانه عليه : : إنك لا تسمع الموق ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين ، ! وقال : : وما أنت بسمع من في القبور ، وقال : : والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون ، أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون ، فقد سمّاهم أمواتاً وجردهم من فضيلة الشعور !

وكل ما في الطبيعة من ناطق وصامت ، لو أنعمت النظر فيه يوحى إليك بالتأملات والتصورات الهيجية والاخلية البارة الجميلة ، كما يبعثك على التفكير واستنباط البر . فكيف يقال إذن إن رجلاً ركب رأسه واتبع هواه ، فأوغل في ظلمات الأرض ووثنياتها ، وضل عن أبواب الروح وأنوار السماء ، تخلا قلبه من الأذواق المرفقة ، والمشاهر الحية ، واقفرت نفسه من الخواطر المؤمنة ، والأحاسيس المشرقة ، والوجدانيات الرقيقة ! كيف يقال إنه حي في الأحياء ، أو هانيء من السعداء ؟ هيهات هيهات .

حول الاذان المحمدى

للشيخ جاويد صونار

حملت إلينا الصحف نبأ القرار الصائب الذى اتخذته حكومة الجمهورية التركية بشأن قراءة الاذان المحمدى ، بلسانه الخاص ، أى بالعربية .
لا أقصد بكلمتى هذه التعليق على الموضوع من ناحية الترجمة بالذات ، وإمكان قراءة الاذان المحمدى بالتركية ، فإننى مع اعتقادى بأن أية ترجمة قد تؤدي أضرارها على الوجه الأكمل ، أترك الإدلاء بالرأى فى ذلك إلى أهل الاختصاص فى اللغات ؛ ليقرروا ما إذا كان ممكناً أن تؤدي الترجمة من لغة لأخرى مهمتها تماماً من حيث المعانى — لأعرض للموضوع من ناحية أخرى جوهرية .

فإننا إذا استثنينا العلوم المادية أى المثبتة ، ولغتها الواضحة المبسطة الخاصة بها ، فهل فى استطاعتنا أن نمبر تمام التعبير عن أفكارنا ، وخطبات نفوسنا بلغتنا الأصلية ، فى ميادين العلوم المعنوية ؟ وبعبارة أخرى هل تستطيع الدولات التى هى وسائل الفهم والتفاهم ، والكلمات التى هى قوالها المادية ، والسطور التى تتألف من تلك الكلمات ، هل تستطيع هذه الوسائل أن تمبر عن حياتنا المعنوية كل التعبير ، وأن تلم بها كل الإلام ؟ ليس فى وسعنا إلا أن نجيب بالنفى على مثل هذا السؤال ، لأن العلوم المعنوية ، تخاطب عقولنا وأرواحنا أكثر مما تخاطب حواسنا الخمس ، أى أنها متصلة بكياننا المعنوى ، لهذا كانت الرموز والأمثال ، فى مثل هذه المعنويات هى وسيلة التفهيم والتفاهم ، ولهذا أيضاً كانت بحاجة إلى التفسير والتأويل .

وإذا نظرنا كذلك إلى علم الحقيقة أى الدين وهو أرقى العلوم المعنوية شأنًا ، نجد ما للتفسير والتأويل من أهمية خاصة فى إدراك معناه ، وبالأخص فى الإلام بحقيقة الأفعال والحركات الملازمة له . وإنه لفرض علينا أن نعمل بعلم الحقيقة فى أفعالنا وحركاتنا التى تنعجه بها الى الحقيقة العظمى أى الدين ؛ وكما أن العلم بلا

عمل في حكم المفقود كذلك العمل بلا علم لا يفيد أى معنى ، من هذا يتضح جلياً وجوب معرفة اللسان الحقيقي لذلك العلم أى علم الحقيقة ، وهو الدين بالطريقة التى تؤدى الى الفهم بالرمز والمثال أكثر من لغة التخاطب .

مثال ذلك أننا نجد في قراءة الأذان بأداء مخصوص ، وكيفية مخصوصة من المعانى أكثر مما تدل عليه الالفاظ المجردة . فإن المؤذن عند ما يتجه إلى القبلة ويكرر جملة (الله أكبر) أربع دفعات ، يرمز إلى المراتب الالهية الخمس الموجودة في الفاتحة الشريفة التى هي أم القرآن ، كأنما يريد المؤذن أن يقول : الله أكبر من تلك المراتب التى تنظم في سلك (الحمد لله — وهى مرتبة الالهية) و (رب العالمين — وهى مرتبة الربوبية) و (الرحمن — وهى مرتبة الرحمانية) و (الرحيم — وهى مرتبة الرحمة) و (مالك يوم الدين — وهى مرتبة المالكية) . ذلك لأن مرتبة الالهية أكثر غوراً وتشملها جميعاً .

ويرمز المؤذن في ندائه : (أشهد أن لا إله إلا الله) دفعتين إلى الجمع الظاهر والجمع الباطن ، كأنما يقول للبلا أشهد ألا إله غيره في الظاهر والباطن ، والظاهر هو مقام الشريعة أما الباطن فهو مقام الحقيقة ، ويرمز بقوله دفعتين : (أشهد أن محمداً رسول الله) إلى دعوة الأنس في الأولى ودعوة الجن في الثانية إلى الإيمان برسائله . ويربداؤذن بقوله : (حى على الصلاة) دفعتين وهو يلتفت إلى يمينه ، دعوة سعداء الأنس ثم سعداء الجن وبقوله : (حى على الفلاح) دفعتين وهو يلتفت إلى اليسار دعوة أشقياء الأنس وكذلك أشقياء الجن إلى الوحدة . أما جملة (الله أكبر) التى يكررها المؤذن وهو يتوجه الى القبلة فإنها إشارة إلى حضرة الغيب ، ثم إلى حضرة الشهادة وإلى أن الغيب أكبر من الشهود . أما جملة (لا إله إلا الله) التى يقولها أخيراً فإنها تفيد أحديته تعالى في ذاته .

هذه هي الفكرة في الأذان بأبسط صورها ومعانيها ، فكيف يبلغ عدد المسلمين الذين يستمعون إلى الأذان ، وقد شملتهم هذه الفكرة المعنوية ، ثم يقومون بعدها إلى أداء فريضة الصلاة التى تحمل الشيء الكثير من المعانى السامية ، بنفس اللذة المعنوية التى استشعروها في نفوسهم عند الاستماع للأذان ؟

فهرس

المجلد الحادى والعشرون

(لسنة ١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠ م)

الموضوع	بقلم	صفحة
(أ)		
ابراهيم والتوحيد	فضيلة الاستاذ محمد عبد المنعم خفاجى	٨٣٦
أبو تمام	سماعة ، السيد ،	٦٥
أحاديث الأستاذ الأكبر		٤٨١-١٩٣
احتفال البعوث بعيد الجلوس الملكى		٦٧٨-٦٧٣
الازهر بالعام الهجرى		•
بعيد الميلاد الملكى ...		٣٨٥
احتفال الأزهر بذكرى المغفور له محمد على باشا الكبير		٩٧
الإخلاص فى العمل	فضيلة الأستاذ صادق خطاب	٩٣٥
الأدب والأديب	عبد الحميد المسلول	٩٣٠ ، ٨١٦
الأدب تحت راية القرآن	أحمد شاهين	١٨٧
أدب الحديث	كامل عجلان	٢٧٨
أدب الجوار	عبد المنعم أبو سعيد	٦٤٧
الأدب الدينى	ابراهيم أبو الخشب	٦١٤
الإسلام والتبني	أحمد الشرباصى	٦٦١
دين الأمن والنعمران ...	فضيلة ، على رفاعى	١٦٨
فى سيراليون	حضرة ، عمر طلعت زهران	٢٨١
والصين		٧٥٥
والمثل العليا	محمد عبد المنعم خفاجى	٨١

الموضوع	بقلم	صفحة
الإسلام فى وحدته وتعاليمه	فضيلة الاستاذ محمود أحمد جميلة	٦٣٤
إصلاح الاخلاق ورعاية الآداب	كتاب جماعة كبار العلماء إلى رفعة رئيس الوزراء	٨٧٦
الإصلاح الاجتماعى	الدكتور محمد الفحام	٥٠١، ٤٠٣
أعلام الأزهر	محمد كامل الفقى	٤٤٧، ٣٤٥، ٢٣٠، ٧٢٩، ٦١٧، ٥٤٢، ٩٢٢
الالتزامات المركبة	حضرة الاستاذ صالح بكير	١٦١
ألوان أهملت	فضيلة كامل عجلان	٥٦٦
الإمام البخارى	محمود النواوى	٤٥
أم المؤمنين عائشة	ابراهيم أبو الخشب	٨٠٩
أنس بن مالك	منصور رجب	٨٢٠
أهداف الحرب فى الإسلام	حضرة عبد المنعم الصايف	٢٤١
أهداف الهجرة	فضيلة فكري ياسين	١٨
الإبلاء	منصور رجب	٦٣٨
الإيمان	حضرة عمر طلعت زهران	٨٩
(ب)		
باب الأسئلة والفتاوى	لجنة الفتوى	٧١٣
الباكستان	حضرة الاستاذ عمر طلعت زهران	٩٤٢
البيان لا المعجزة	سماحة السيد	٣٣٠
بين الشريعة والقانون	فضيلة عبد اللطيف السبكى	٢٤
بين مالك والبيث	عبد الله المراغى	٥١٠، ٣١٥
(ت)		
تأثر الشعر العربى برسالة الإسلام	فضيلة الاستاذ عبد الحميد المسلول	٣٥٠
تنبى المسيحى للطفل المسلم	لجنة الفتوى	٦٣
تدمير اورشليم	حضرة الاستاذ عمر طلعت زهران	٤٧٠
تجاوب الشعوب	فضيلة عبد المنعم أبو سعيد	٣٧٢
التساؤل والاختلاف	فكرى ياسين	٨٧٦
تقاريط	حضرة صاحب العزة مدير المجلة	٧٦٧، ٤٧٩، ٤٩٥

الموضوع	بـقـلم	صفحة
التقليد وخطره	الدكتور محمد يوسف موسى	٥٩٩ ١٥٠٦
(ج)		
وجاهدوا فى الله حق جهاده	فضيلة الأستاذ محمود جميلة	٨١٢
جزاء وجزاء	محمد عبد التواب	٩١٨
جولة فى ملكوت الله	محمود جميلة	٢٤٩
(ح)		
الحب العفيف للزوج	لجنة الفتوى	٦١
الحج	فضيلة الأستاذ عبد المنعم أبو سعيد	٩٣٨
الحداد	فكرى يس	٣٩٣
حرية رأى	إبراهيم أبو الخشب	٥١
الحسين بن منصور الحلاج	محمود النواوى	١٣٤
حكم الشريعة فى استبدال النقد بالهدى	محمود شلتوت	١٣
الحكام السبعة	الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى	٢٤٥
الحكام السبعة عند العرب	فضيلة الأستاذ عبد المتعال الصعبدى	٧١٧
حكمة التفاوت بين الناس	محمد محمد المدنى	٤٩٥
حكومة الرسول بعد الهجرة	حضرة الأستاذ أحمد صلاح الدين عبد الرحمن	١٨٠
حول الأذان المحمدى	الشيخ جاويد صونار	٩٥٩
(خ)		
خضاب الشيب	فضيلة الأستاذ فكري يس	١٠٨
الخيال الشعرى	الشيخ أحمد محمد صقر	٥٦٩
(د)		
درس دينى بمصر رأس الثين العامر	حضرة صاحب الفضيلة وكيل الأزهر	٨٦٥
دعوة الى تعميم اللغة العربية	حضرة الأستاذ محمد حسن الأعظمى	١٧٢
الدنيا والدين	فضيلة محمد عبد التواب	٢٥٣
دوحة النور	سميحة ، السيد ،	٦٦٥

الموضوع	بقلم	صفحة
الدين والأخلاق	الدكتور محمد يوسف موسى	٤٠٨
الدين والدنيا ممأ	صاحب العزة مدير المجلة	٣٨٨
الدين والسياسة	فضيلة الأستاذ عبد المنعم أبو سعيد	٧٥١ ٥ ٥٥٨
(ذ)		
ذكرى ميلاد الرسول	د. المنشاوى عبود الخولى	٢٧٤
ذكرى وفاة الملك فؤاد الاول	حضرة صاحب فضيلة الأستاذ وكيل الأزهر	٦٨١
الدوق فى القرآن	فضيلة الأستاذ إبراهيم أبو الخشب	٣٤٢
(ر)		
رسالة الحياة وكيف تؤدى	د. على رفاهى	٤٣٩
الركن الشرعى للجريمة	الدكتور أحمد محمد إبراهيم	١٢٣ ٥ ٣٧
(ز)		
زيارة ملك الافغان للأزهر	مركز تحقيق تكملة علوم	٤٨٣
(س)		
سعيد بن المسيب	فضيلة الأستاذ محمود النواوى	٤٢٧ ٥ ٣٣٦
سؤال الناس	د. إبراهيم أبو الخشب	٩٢١
السوفسطائيون فى نظر العرب	د. أحمد شاهين	٧٦٠ ٥ ٧٤
سيويه	د. الدكتور محمد الفحام	٧٨٠
السيرافى	د. د. د. د. د.	٥٩٥
السيرة المحمدية	فضيلة الأستاذ إبراهيم أبو الخشب	١٤٠
(ش)		
شاعران يتناوبان الجائزة	فضيلة الأستاذ حسن جاد	٨٢٤
الشعر والحياة	الشيخ سعد الدين موسى كله	٩٥٦
الشرط فى الفقه الإسلامى	فضيلة الأستاذ صالح بكير	٨٢٨

صفحة	بقلم	الموضوع
٣٣٣	فضيلة الاستاذ أبو الوفا المراكشى	الشريعة الإسلامية وقانون من أين لك هذا
١٦٤	د محمد حسين الفار	الشعر في عصر إسماعيل ...
١٨٦	حضرة د محمد فؤاد عبد الباقي	الشيوعية والإسلام ...
(ص)		
٧٤٢٦٢٥٧٦١٥٥	فضيلة الاستاذ أحمد موسى	الصنيع البديعى في مدرسة السكاكى
٩٠٧	د عبد المتعال الصعدي	صفايا الرؤساء ...
٢٠٢	د فكري يس	صفة رسول الله في التوراة ...
٦١١	د محمد عبد التواب	صنائع المعروف ...
٨٤٢	د عبد المنعم أبو حميد	الصوم تأديب وتهذيب ...
(ط)		
٥٢٧	فضيلة الاستاذ محمود النواوى	طالب العلم بين ماضيه وحاضره ...
٣٥٥	الدكتور أحمد فؤاد الاموانى	طالب يس ...
٦٢٨	فضيلة الاستاذ حسن جاد	الطبيعة في شعر ابن زيدون ...
٦٠٨	د أبو الوفا المراكشى	الطفولة الضائعة ...
(ع)		
٢٠٨	د محمد محمد المدنى	عبدة الالهواء ...
٢٩	د الطيب النجار	عبرة وعظة ...
٤١٢	د محمد عبد التواب	العبرة في ذكريات العظام ...
٨٥	د كامل عجلان	عجالات في الشوقيات ...
٨٥٩	د أحمد على منصور	العدالة في الإسلام ...
٢٣٦ ، ٢٦١	د على حسن العمارى	العز بن عبد السلام ...
٧٢٨ ، ٦٤٢	د بدر المتولى عبد الباسط	العقيدة الإسلامية ...
٦٥٢	حضرة د عمر طلعت زهران	علماء المسلمين وتقدم العلوم ...
٨٨٥	فضيلة د محمد محمد المدنى	علومهم يكونوا لكم ...

الموضوع	رقم	صفحة
على بن أبى طالب	فضيلة الاستاذ محمود النواوى	٩١٢٠٧٢٠
على هامش الأدب	» أبو الوفا المراغى	٥٢٣
عمار بن ياسر	» عبد الله المراغى	٩٠٤
عمر بن الخطاب	» إبراهيم أبو الخشب	٥٣٨
عناصر المدنية فى الديانة الإسلامية	صاحب العزة مدير المجلة	٦٨٥٤٥٧٧٠٤٨٧ / ٨٧٢٤ ٧٦٩
(غ)		
غلبة عالم منى على دولة المأمون	فضيلة الاستاذ عبد المتعال الصعيدى	٥٢٣
(ف)		
فاتحة السنة الحادية والعشرين	صاحب العزة مدير المجلة	٣
فتح القسطنطينية	حضرة الاستاذ أحمد صلاح الدين	٣٨٠
الفضيلة عند أرسطو	» سعيد زايد	٧٤٧
فى أنهار الجنة	فضيلة » فكري ياسين	٧٧٣
فى ذكرى المولد	» محمود جميلة	٦٩
فى عالم المؤلفات		٦٦٧
فى العدل والجور	فضيلة الاستاذ محمود النواوى	٢١٢
فى علم الكلام ودراسته	» الدكتور محمد يوسف موسى	١٢٩
فى قصر الرشيد	» الاستاذ حسن خطاب	٥٧٣٤٣٨٦٠٩٣
فى كتاب الله	» أبو الخشب	٤٤٣
فى محراب اقبال	» كامل عجلان	٧٦٤
(ق)		
القتل غيلة فى الإسلام	فضيلة الاستاذ عبد المتعال الصعيدى	٣١١
قرآنية البسمة	» الطيب النجار	١١٣
قصص القرآن	» عبد القنى الراجحى	٣٦٧
قوانين الفكر الضرورية	حضرة » سعيد زايد	٢٦١
(ك)		
كلمة الحق	فضيلة الاستاذ على حسن العمارى	٩٥٠
كنز الأدب الفاطمى	حضرة » محمد حسن الأعظمى	٩٤٦

الموضوع	بقلم	صفحة
(ل)		
لا تيأسوا من روح الله ...	فضيلة الاستاذ محمد محمد المدنى	٣٠٢
لا تعارض فى آيات الكتاب الكريم	الطيب النجار	٢١٨
لا تغضب ...	صادق خطاب	٨٣٢
لغويات ...	محمد على النجار	١٠١٨٠٤٣٢١٢٢٤ ٨٩٥٤٧٨٩٤٧٠٤
اللسان ...	عبد الحميد المسلول	٦٢٣
لمحات خالدة ...	كامل مجلان	٣٧٦
لمحة فى التشريع المقارن ...	حضرة نجر الدين صاحب	٩٥٣
(م)		
محاضرات فى الازهر الشريف	حضرة الاستاذ حسن الاعظمى	٢٦٧
محمد رسول الله ...	فضيلة عبد العزيز موسى	٢٧٢
الحبة الخالصة ...	محمد عبد التواب	٧٨
المجتمع والسياسة ...	نور الدين شريفة	١٧٥
مذهب الصرفة ...	على حسن العمارى	٦٥٦٤٧٤٤٤١
المسبحة من عظم القيل ...	لجنة الفتوى	٦٢
مراقبة الدائن أموال مدينه ...	حضرة الامتاذ صالح بكير	٤١٨
المرومة ...	فضيلة على رفاعى	٧٣٤
مع الشعراء ...	فضيلة الاستاذ ابراهيم أبو الخشب	٧٢٦
المعاهدة الإسلامية ...	المنشاوى عبود الخولى	٥٥٣
معرفة الغيب ...	عبد الحميد المسلول	٥٤٧
مفردات فلسفية ...	الدكتور محمد يوسف موسى	٣٢١٦٢٢٢٦٢٣ ٩٠٠١٧٨٥٤٧٠٩
مكارم الاخلاق ...	فضيلة الاستاذ أبو بكر ذكرى	٧٩٥٤٦٠٣٤٤١٥
مكانة علم الاخلاق من الفلسفة ...	منصور رجب	١٤٧
من أخبار العباسيين ...	حسن خطاب	٨٦٣

الموضوع	بـقـم	صفحة
من توجيهات القرآن	فضيلة الاستاذ عبد اللطيف السبكى	٨٨٩٠٦٩٨٠٥٩٠
من خصال الفطرة	د فكري يس	٤٩١
من طبائع الشعر الجاهلى	د حامد عوني	٥٦٢
من طرائف القرآن	د عبد الغنى الراجحي	٨٤٦ ٠ ٥٥
من فقه عمر	د محمد محمد المدني	٧٧٧
منهج الإسلام فى تربية الأولاد ...	د أبو الوفا المراغى	٨٠٤
موضوع علم الاخلاق	د منصور رجب	٤٦٢
المؤمنون الصادقون	د محمد عبد التواب	٨٠١
ميلاد محمد صلى الله عليه وسلم ...	حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر	٢٨٩
ميلاد محمد صلى الله عليه وسلم ...	فضيلة الاستاذ محمد عبد المنعم خفاجى	٢٥٦
(ن)		
ناحية من أسلوب القرآن فى القصص	فضيلة الاستاذ محمد محمد المدني	٦٩٥٠٥٨٦
الناموس الادبى العام	حضرة صاحب العزة مدير المجلة	١٠٤٠٩
النبي والشعر	فضيلة الاستاذ عبد الحميد المسلول	٤٥٢
نذير من الغرب	د أبو الوفا المراغى	١٤٤
نظام الاسرة	د ابراهيم أبو الخشب	٢٢٧
نظرات فى توثيق المعاملات	د عبد اللطيف السبكى	٣٠٦٠١١٣ / ٤٩٨ ٤٣٤١
(هـ)		
الهجرة النبوية — قصيدة	د حسن جاد	١٥٢
مدى الإسلام فى الزواج	د عبد المنعم أبو سعيد	٤٦٤
(و)		
الوحدة فى تعاليم الإسلام	د المشاوى عبود الخولى	٨٥٣
ولاية المرأة	د فكري ياسين	٦٨٩
(ى)		
يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل	د محمد محمد المدني	٣٩٨

فهرس

الجزء العاشر - المجلد الحادي والعشرون

الموضوع	بسم	صفحة
درس ديني بقصر رأس التين	د. حضرة صاحب الفضيلة وكيل الجامع الأزهر	٨٦٥
عناصر المدنية في الديانة الإسلامية	د. حضرة صاحب العزة مدير المجلة	٨٧٢
إصلاح الأخلاق ورعاية الآداب	د. جماعة كبار العلماء	٨٧٦
التساؤل والاختلاف	د. فضيلة الأستاذ الشيخ فكري ياسين	٨٧٩
علومهم يكونوا لكم	د. محمد محمد الحادي	٨٨٥
من توجيهات القرآن	د. عبد اللطيف السبكي	٨٨٩
لغويات	د. محمد علي النجار	٨٩٥
مفردات فلسفية	د. الدكتور محمد يوسف موسى	٩٠٠
عمار بن ياسر	د. الشيخ عبد الله المراغي	٩٠٤
صفايا الرؤساء	د. عبد المتعال الصعيدي	٩٠٧
علي بن أبي طالب	د. محمود النواوي	٩١٢
جزاء وجزاء	د. محمد عبد التواب	٩١٨
سؤال الناس	د. إبراهيم أبو الخشب	٩٢١
أعلام الأزهر	د. محمد كامل الفقي	٩٢٤
الأدب والأديب	د. عبد الحميد المسلول	٩٣٠
الإخلاص في العمل	د. صادق خطاب	٩٣٥
الحج	د. عبد المنعم أبو سمير	٩٣٨
الباكستان	د. حضرة الأستاذ عمر طلعت زهران	٩٤٢
كنز الأدب الفاطمي	د. محمد حسن الأعظمي	٩٤٦
كلمة الحق	د. فضيلة	٩٥٠
لمحة في التشريع المقارن	د. حضرة	٩٥٣
الشعر والحياة	د. سعد الدين موسى	٩٥٦
حول الآذن المحمدي	د. جاويد صونار	٩٥٩

المجلد الثاني والعشرون

تم إصدار هذا العدد المجلد الحادي والعشرين من سلسلة الأثر
وسيدأ في متابعة إصدار أعداد المجلد الثاني والعشرين في أول الخريف
من سنة ١٣٧٠ هـ